الإصلاح

إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله

العدد 65 - السنة 3 - 24 ذو القعدة / 8 ذو الحجّة 1435 - 19 سبتمبر / 2 أكتوبر 2014

كيف نساهم في جعل التعليم أكثر جدوى وفاعلية

علي الطرهوني

المقالات

لا تنمية حقيقية بدون استراتيجيات وطنيّة
نجم الدين غربال

مفهوم الحقيقة عند المتصوّفة
د جميل حمداوي

خيارات ما قبل الانفجار
د. نعمه عبادي

الرهان والنسيان
لطفي الدهواثي

الفهرس

الأولى

من هنا يبدأ الإصلاح — فيصل العش — 3

في العمق

كيف نساهم في جعل التعليم أكثر جدوى وفاعلية — علي الطرهوني — 4

بحوث ودراسات

مفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي — د.جميل حمداوي — 10

(3) عند المتصوّفة

مقالات في التنمية

لا تنمية حقيقية بدون استراتيجيات وطنيّة — نجم الدين غربال — 14

حديقة الشعراء

عصفورة قدسية — بحري العرفاوي — 17

تمتمات

التلاميذ والاولياء ضحايا وزارة التربية وضحايا نقابات التعليم — إسماعيل بوسروال — 18

في الصميم

من أجل فهم الإرهاصات الدينية ما قبل الوحي — د. لسعد الماجري — 20

فلسطين بوصلتنا

انتصارٌ على العدو وخيبة أملٍ لدى الشعب — د.مصطفى يوسف اللداوي — 26

وجهة نظر

خيارات ما قبل الانفجار — د. نعمه عبادي — 29

أغاني الحياة

يا شهيد تونس شعلت — مجموعة البحث الموسيقي — 30

قبل الوداع

الرهان والنسيان — لطفي الدهواثي — 31

م. فيصل العش

من هنا يبدأ الإصلاح

يصدر هذا العدد من مجلّة «الإصلاح» بعد أيام من انطلاق السّنة الدّراسيّة الجديدة ولهذا وجب علينا أن نعرّج في هذه الافتتاحيّة القصيرة على موضوع هامّ وخطير في نفس الوقت، لكنه لم يرتق إلى مصاف أولويّات الحكومات المتعاقبة بعد الثّورة ولا ضمن الموقع الذي يستحق ضمن برامج أغلب الأحزاب السّياسيّة وبقي صوت المنادين إلى التطرق إليه خافتا وضعيفا. إنّه موضوع «إصلاح المنظومة التربوية».

لقد كشفت الثّورة التّونسيّة عن سوْءة النّظام القديم وفضحت جرائمه التي لا تحصى ولا تعدّ في حقّ الشّعب التّونسي ومن بينها ما فعله بالمنظومة التّربويّة على مدى 23 سنة، حيث انتشر الفساد في جلّ مجالات التّربية وتعكّر المناخ التّربوي وتفاقمت ظاهرة الانحطاط القيمي في المؤسسات التربويّة بمختلف أنواعها، مما تسبّب في تراجع مكانة المربّي الاجتماعيّة وتفشي مظاهر العنف واللامبالاة داخلها. كما تلاعب الدّكتاتور وعصابته، التي لا همّ لها سوى الرّبح المادّي والسّيطرة على المواقع ، بأجيال من التّونسيّين سواء على مستوى التّكوين أو على مستوى تحقيق أحلام المتخرّجين منهم في الحصول على شغل شريف يتماشى مع الشّهائد العلميّة التي تحصلوا عليها.

واليوم ونحن ندعو إلى تأسيس حكم جديد قوامه الحرّية والمواطنة والعدالة، لابدّ أن نولّي مسألة «إصلاح المنظومة التّربويّة» الأهميّة التي تستحق ونجعلها من أبرز الأولويّات التي يجب الخوض فيها ووضع الاستراتيجيات الملائمة التي تفضي إلى تحقيق الهدف المنشود وهو إرساء منظومة تربويّة قادرة على بناء المواطن التّونسي المتشبّع بقيم العمل والإتقان والابتكار والتّضامن، المسؤول عن نهضة بلاده وتقدّمها. أمّا إهمال الخوض في هذه المسألة والتّركيز على مسائل أخرى أقلّ أهميّة منها فذلك دليل على عجزٍ في إيجاد حلولٍ لقضايانا المصيريّة ورغبة في المزيد من تعفين الوضع التّربوي في البلاد.

إن إصلاح المنظومة التّربويّة يجب أن يكون إصلاحا جذريًّا شاملا لا يعتمد الترقيع ولا التخصيص، ولن يتحقّق هذا الإصلاح إلاّ عبر قرارٍ تشاركيٍ يكون نتاج حوارٍ وطنيٍّ عميق يجمع مختلف الأطراف المتداخلة والمؤثرة في المنظومة التّربويّة من دون إقصاء (الخبراء والمربّين والمشرفين البيداغوجيّين والإداريّين والعملة وأولياء التّلاميذ والتّلاميذ أنفسهم، ومختلف مؤسسات المجتمع المدني...) وينطلق من قراءة سليمة موضوعيّة للمنظومة الحاليّة تحدّد نقاط قوّتها ونقاط ضعفها وترتكز على مناهج علميّة في البحث والتّدقيق من دون عنتريّات بعيدا عن أجواء الشّحن الإيديولوجيّ والتّوظيف السّياسي الحزبيّ. كما يأخذ بعين الاعتبار آثار الثّورة المعلوماتيّة والتكنولوجيّة على حياة النّاس سلبا وإيجابا في كلّ أنحاء العالم والتّطور اللاّفت للمعرفة وتنوّع مصادرها وما شهدته المؤسّسات التّربويّة عبر العالم من تحوّلات جوهريّة .

ويفترض أن يجيب مخطّط إصلاح المنظومة التّربويّة، الذي قد يتطلب إعداده عدّة سنوات، عن سؤالين رئيسيّين الأول: «أيّ رسالة للمؤسّسة التّربويّة التّونسيّة ما بعد الثّورة؟» والثّاني: «أي نموذج يريده التّونسيّون؟»

كما يفترض أن يضع التصورات للمنظومة في جميع جوانبها مثل الفضاءات المدرسيّة والتّجهيزات التّعليميّة والتّنظيمات الإداريّة وطرق التّصرّف في الموارد البشريّة والماليّة، كما يشمل البرامج في مضامينها ووسائلها وطرق تنفيذها وتقييمها، وكيفية الرّفع من منزلة الإطار التّربوي المادّية والمعنويّة.

إن إصلاح مثل هذا يفرض تخصيص ميزانيّة محترمة قادرة على تلبية متطلّباته وهو ما يعني بالنّسبة للمجموعة الوطنيّة تضحيات جسام وتأجيلِ بعض المطالب من أجل الاستثمار في الأجيال القادمة. فهل يستطيع من سيرفعه صندوق الانتخابات القادمة إلى سدّة الحكم أن يسير في هذا الاتّجاه ويراهن على التّربية أم سيبقى «الإصلاح» مجرد شعارات ترفع في كل وقت وحين من دون تحقيق فعلي لها؟

faycalelleuch@gmail.com

عليك أن تجرّب المستحيل لتصل إلى الممكن...

هرمان هسه

حكمة

علي الطرهوني

كيف نساهم في جعل التعليم أكثر جدوى وفاعلية

مقدمة

شهادة «iso» التي نجدها في كل منتوج صناعي تتحصل عليها بعض المؤسسات وهي تعني المواصفات العالمية للجودة.

هل يمكن أن نتحدث عن هذه المواصفات في منتوج فكري مثل التعليم؟. هل هو جيّد أم نريده أن يرقى إلى مستوى الجودة العالميّة؟ كيف نحسّن هذه الجودة؟ ما دور السّياسة التربويّة وما دور الأستاذ لتحسين هذه الجودة؟.

وحديثي في هذا المقال عن المردوديّة والجدوى من العملية التربوية ينبع من أمرين:

1) الأول أنّني أتحدث عن رؤية من الدّاخل وذلك من منطلق الخبرة التربوية التي اكتسبتها على أرض الواقع بعيدا عن التّنظير، حيث أبحث عن الجدوى والفاعلية وعن المعنى فيما أقوم به منذ أكثر من عشرين سنة. تلحّ عليّ خواطر عديدة : كيف أجعل مردودي أكثر جدوى وكيف أضطلع بهذه الأمانة التي أودعني إيّاها المجتمع وهي تعليم أبنائه؟، أمانة من يؤمن بأنّ التعليم يصنع الإنسان وأنّ التربية هي عملية بناء أمّة وليس تعليم فرد الحساب أو الآداب أو العلوم. قد أصاب بالملل والإحباط شأن أي عمل بشري لا يجدّد الإنسان فيه نفسه أو يجد العراقيل التي تمنعه من ممارسة اختياراته وأفكاره.

2) الثاني، ما معنى أن أنتمي إلى وزارة التربية والتكوين؟ الأولوية هي للتربية. فإن كان ذلك كذلك فهل أعطينا التربية ما تستحق من اهتمام؟ وهل هناك في منظمتنا التّربويّة تربية بدون قيم؟ وهل المدرسة فضاء للتّعليم أم للتّربية؟

إنّ العودة إلى جذور كلمة تربية . من ربّى ولده أي حفظه ورعاه ومنه المربّي فهو الذي يقوم بعملية تعليم الأطفال جملة من المعارف والقيم التي تسهل لهم عملية الاندماج في المجتمع فنحن نعلّم التلاميذ اللّغة والسلوك الاجتماعي كالوقوف والجلوس واحترام الآخر والهندام كل ذلك جزء من العملية التربوية التي تبدأ من الأسرة. الأسرة تعلّم الطفل الكلام ومبادئ السلوك لكن من يربّي في الأسرة؟ هل هو الأب/الأم/الجدّ/الجدّة/العم/الخال، كلهم يساهمون في هذه العملية وقد يتناقضون في الأساليب، فهل أنّنا نحسن تربية أبنائنا؟

ومن يربّي في المدرسة هل هو الأستاذ أم السّلك الإداري؟ وهل العمل التربوي مسألة تخصّ المربّيين وحدهم أم هي قضيّة مجتمع يجمعه عقد اجتماعي وبيداغوجي بين المدرسة والعائلة يحدّد حقوق وواجبات كل طرف؟.

إن طرح مثل هذه التساؤلات تحيلنا على العلاقة بين الأسرة والمدرسة ما مدى التكامل أو التناقض؟ فمن يصمّم

«كيف أجعل مردودي أكثر جدوى وكيف أضطلع بهذه الأمانة التي أودعني إيّاها المجتمع وهي تعليم أبنائه؟، أمانة من يؤمن بأنّ التعليم يصنع الإنسان وأنّ التربية هي عملية بناء أمّة وليس تعليم فرد الحساب أو الآداب أو العلوم».

«شهادة «iso» التي نجدها في كل منتوج صناعي تتحصل عليها بعض المؤسسات وهي تعني المواصفات العالمية للجودة. فهل يمكن أن نتحدث عن هذه المواصفات في منتوج فكري مثل التعليم؟. هل هو جيّد أم نريده أن يرقى إلى مستوى الجودة العالميّة؟ كيف نحسّن هذه الجودة؟ ما دور السّياسة التربويّة وما دور الأستاذ لتحسين هذه الجودة؟..».

كيف نساهم في جعل التعليم أكثر جدوى وفاعلية

«لقد حلّت «التلفزة» محلّ الوليّ وجنت على الأطفال الذين يشاهدون برامج العنف والجريمة والميوعة فيحاولون التشبه بشخصيات تقوم بأعمال إجرامية وتقلّدها ممّا يفتح الباب للتلميذ ويساعده على السّلوك المنحرف.»

المناهج التعليمية (الوزارة...) يختص بالإجابة عن سؤال ماذا نعلّم والأستاذ يختص بالإجابة عن سؤال كيف أعلّم، فما مدى الوعي بطبيعة ما نعلم وبأهداف التدريس ومحور كل هذا هو التلميذ؟

I ـ دور الأسرة في العملية التربوية.

الأسرة من أقدم المؤسسات التي عرفها تاريخ البشريّة والمتمثلة في الزواج. وخارج إطار الزواج لا يعترف المجتمع بالأسرة. فالطفل لا يولد شخصا personne بل يولد فردا individu أي إننا نقول أنه صفحة بيضاء لم تشكّل شخصيته بعد، بل تكتسب بفعل البيئة التي يعيش فيها. وإذن لا يمكن دراسة الطفولة بمعزل عن الظواهر الاجتماعية والتاريخية للأسرة وهي جزء من الاهتمام بالمستقبل. أن أكون أبا أو أمّا تحدّده الطبيعة والغريزة instint ولكن الأهم من ذلك أن الأمومة والأبوة كشعور إنساني هي فعل تربوي لأني اختلف عن سائر الكائنات التي تنجب وتتخلى عن صغارها عندما يكبرون. لكن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يرتبط بعائلة. فما دمت ابني فأنا مسؤول عنك وهذه المسؤولية تمنحني حق السلطة عليك وتفرض عليك واجب الطاعة. أنت تطيعني مادام لي حق عليك وما دمت انفق عليك حتى تكبر. تبقى تطيعني لكنك تستقل بتربية أبنائك. إذن التربية فعل ثقافي وليس طبيعي كالولادة لأن الإنسان هو الذي تميّز عن غيره بالثّقافة ويمتلك لغة قيم تميزه عن سائر المخلوقات.

الكثير من الآباء والمدرسين يعتمدون على تجاربهم الشخصية في تربية أطفالهم ويتناسون دور المجتمع في التأثير على شخصية الطفل.

انه يستند على نماذج سابقة في التربية ويكرس ما تربى عليه دون أن يثقف نفسه بالثقافة المناسبة ونسي قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لا تعلموا أطفالكم عاداتكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم (عصرهم عصر الجوال والانترانت وستار أكاديمي).

إذا عندما نتحدث عن دور الأب في الأسرة نعود إلى طفولتنا الضائعة (مازال الطفل يقبع داخلنا في لا وعيينا) وإليك الدليل. نلعب مع أطفالنا الرّضع وعندما يكبر الطفل نتركه لتتولّى المدرسة والمجتمع أمره بعد ذلك.

ولكل واحد طريقته في تربية أبنائه بين اللّين المفرط والتسامح وبين الغلظة والشدّة والقهر. نعيد إنتاج ما تربينا عليه .إن التغيّرات السّريعة التي تمسّ مكانة الأسرة غيّرت من مفهومنا للأسرة كما عرفها أباؤنا، إذ لم نعد نفهم ما يجري في محيطنا وأصبحنا متفرجين استقالة جماعية. من يربي اليوم؟ لقد حلّت «التلفزة» محلّ الوليّ وجنت على الأطفال الذين يشاهدون برامج العنف والجريمة والميوعة فيحاولون التشبه بشخصيات تقوم بأعمال إجرامية وتقلّدها ممّا يفتح الباب للتلميذ ويساعده على السّلوك المنحرف.

سئل طفل صغير ممّا تتكون أسرتك فأجاب من ماما وبابا وأختي وجهاز التلفزة وهو ما يدلّ على الدّور السلبي للتلفزة في غياب الأسرة.

II ـ تحديد الصعوبات والجوانب الأساسية لأزمة التربية والتعليم في بلادنا.

هي صعوبات تتدخل فيها عوامل عدّة وأطراف كثيرة منها :

1) غياب الصّلة العميقة بين ما يتعلمه التلميذ في المدرسة وبين التجربة الحياتية وواقع التلميذ في عالم حداثي

«الكثير من الآباء والمدرسين يعتمدون على تجاربهم الشخصية في تربية أطفالهم ويتناسون دور المجتمع في التأثير على شخصية الطفل. انه يستند على نماذج سابقة في التربية ويكرس ما تربى عليه دون أن يثقف نفسه بالثقافة المناسبة ونسي قول عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه لا تعلموا أطفالكم عاداتكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم».

متطور.

2) اعتماد التعليم عندنا على الحشو والتلقين وليس على بناء الفكر النّقدي لدى التّلميذ.

3) غياب التفاعل بين مكونات المشهد التربوي من مديرين ومدرسين وتلاميذ وقيمين وإداريين وأولياء.

4) غياب عنصر المبادرة في العمل التربوي وتقييد التجديد في الممارسة التربوية تحت ضغط سلطة القوانين والمقررات التربوية مما ينتج عنه قتل روح الابتكار.

5) عدم قدرة المدرسة على مواكبة التطور التكنولوجي الهائل ونظام تعدّد الوسائط والثورة المعلوماتية. انفتاح المدرسة على الوسائط الإعلاميّة ثم تجاوز حدود المنوار العاكس أو «Data show»

6) المدرسون تعترضهم صعوبات عدّة ، فالقدماء منهم فقدوا شهية المبادرة ولذّة التّدريس أمام تدنّي صورة المدرس في المجتمع والإعلام بوسائله السمعيّة والبصريّة وحواراته مساهم في اختلاق هذه الصّورة وقد يكون للتّوجه السّياسي للدّولة دور في تهميش صورة المدرّس وإضعاف دوره،

«هل من معنى للتربية بدون قيم (قيمة الصدق قيمة الحرية)؟ في الحقيقة نحن نربي لصنع الإنسان ولكن ما العمل إذا كان الإنسان نفسه قد تعرض إلى التهميش فساهمنا في نفوره من المعرفة».

فما وجه العلاقة بين المعرفة «savoir» وبين السلطة «pouvoir»؟ (ظاهرة الانقطاعات المدرسية اليوم 100 ألف منقطع خير دليل على الأزمة).

7) التلاميذ أصبحوا أكثر جرأة ومتمرّدين، يضربون بالاحترام والقوانين المدرسيّة عرض الحائط، فاقدي الرّغبة في التّعلم، أقل عملا، لا ينتبهون في القسم ولا يقومون بواجباتهم المنزلية. النتيجة: تقهقر مستوى القسم والتعليم أمام عزوف الأولياء عن متابعة نتائج وأعمال أبنائهم.

8) التطوّر السّريع للمعارف جعل المدرسة عاجزة عن مواكبة التّحولات والتغييرات الهامّة في العالم فضلا عن القيام بالإصلاحات اللازمة في المدرسة، مغتربة عما يكتشف في ميادين العلم وتكنولوجيا الاتصال. فلم يدفع مشروع المؤسسة بالتلميذ إلى الانخراط في المعرفة، مما أدّى إلى الفشل المدرسي، يعني أنّ مهمة التّعليم بصدد التّغير في عالم متحوّل. وقد أثبتت الدراسات أن رجال التعليم لم يواكبوا هذه التحولات وهذا يتطلب إمكانيات وبرامج مرصودة. الأكيد في مجتمع المعرفة أن نصل إلى الحرفية في التعليم بدء بتغيير البرامج والمقاربات البيداغوجيّة لمزيد فتح المدرسة على الحياة، فالمعرفة اليوم في خطر، خطر التسييس وخطر الابتذال وخطر الدكترة وفقدان المعنى في مهن المستقبل. كيف ستكون مهنة المدرس في القرن القادم؟ هل سنتخلى عن التعليم العمومي ومجانيته؟ هل يمكن تحفيز كل الأطراف «motivation» لإعادة المعنى إلى المدرسة بتفعيل دور المثلث التعليمي من مدرس وتلاميذ. فالمعنى أساس الحياة (معنى الكون ، معنى وجود الإنسان) لأن أبناءنا هم المستقبل. نريد أن نؤمن لهم حياة لائقة ولا يتمّ ذلك الاّ بالتربية كما يقول «كانط».

كيف أكوّن شخصيته المستقلّة بمعزل عني وبحضوري أيضا إذا كان هناك موانع تمنعني من القيام بدوري في الأسرة فهذه الموانع تعكس أزمة في صلب العائلة تنعكس آثارها السلبية على المدرسة فهل من معنى للتربية بدون قيم (قيمة الصدق قيمة الحرية)؟ في الحقيقة نحن نربي لصنع الإنسان ولكن ما العمل إذا كان الإنسان نفسه قد تعرض إلى التهميش فساهمنا في نفوره من المعرفة.

III ـ دور المدرسة في العملية التربوية.

حين تخلت العائلة عن دورها التربوي التوجيهي لأبنائها

«من بين أسباب أزمة التعليم اعتماده على الحشو والتلقين وليس على بناء الفكر النّقدي لدى التّلميذ وغياب التفاعل بين مكونات المشهد التربوي من مديرين ومدرسين وتلاميذ وقيمين وإداريين وأولياء وغياب عنصر المبادرة في العمل التربوي وتقييد التجديد في الممارسة التربوية تحت ضغط سلطة القوانين والمقررات التربوية».

كيف نساهم في جعل التعليم أكثر جدوى وفاعلية

«ظاهرة العنف في المدارس ظاهرة خطيرة تنتشر لأن المناخ في الأسرة مهيأ للعنف والمناخ في الشارع لا يدفع إلى الإحساس بالأمن النفسي. هناك خوف من المستقبل.»

أوكلت للمدرسة القيام بهذه المهمة ومن قبلها للحضانة ولرياض الأطفال ولم ترسخ في الأطفال منظومة قيم ممّا جعل علاقة التلميذ بالمعرفة علاقة نفعيّة حسب الضوارب والمواد والامتحان والعدد... دون أن تسأل لماذا وكيف نجح ودون أن تدعوه إلى مراجعة نقائصه. فولي التلميذ مهما كان موقعه مشارك في العملية التعليمية فهل هو ملمّ بالخطوط العامّة لرؤية التعليم؟ وهل هو منسجم مع كافة الأطراف التربوية؟ هل ندفع بالتلميذ في اتجاه أن نزرع فيه روح التساؤل والبحث عن الجهد للإجابة؟ أم ينشغل الأولياء بتحسين مداخيلهم الماديّة لمجابهة مصاريفهم المتعددة (قرض حاسوب، قرض مسكن، قرض سيارة...) مما يجعلهم يدفعون باهضا ثمن تلبية رغباتهم ورغبات أبناءهم . ورغم كل الظروف المتوفرة يسقط التلاميذ في الفشل ويسقطون في مخاطر الشّارع وأحيانا نلقي اللّوم على المدرسة والمدرّس ودروس التدارك (مجانية للفقراء). فالتلميذ الفقير والميسور يتمرّدون في المدرسة بين من يعاني من الفقر والمشاكل العائلية وبين من يعاني من الفراغ والأولياء لا يحضرون للمدرسة إلا بطلب من الإدارة فحالات الشّذوذ والانحراف دليل على عدم التأقلم بين التلميذ ومدرسته.

بين التلميذ والمدرسة هناك شراكة وعقد وميثاق يقوم على التفاعل والتواصل هذا العقد ممثل في القانون المدرسي الذي أمضى عليه التلميذ والولي وهو خاص بالنظام الداخلي للمدرسة وبين المدرسة أيضا والدولة يوجد عقد ممثل في القانون التوجيهي للتربية والتعليم قانون 21 جويلية 1991. وبين المدرس والتلميذ هناك عقد وميثاق معرفي وحين يخلّ أحد هذه الأطراف بهذا العقد نسقط في الفوضى وتنتشر ثقافة العنف وتتكرر ظواهر الغش وانتهاك حرمة الدرس.

IV ـ هل نحن مع مدرسة لفرض الانضباط أم دعه يعمل دعه يمر.

الانضباط في كل عمليّة تربويّة هو حجر الزاوية وكلّما كان التلاميذ اكثر انضباطا أصبحوا أكثر قدرة على الفهم وعلى النجاح. ظاهرة العنف في المدارس ظاهرة خطيرة تنتشر لأن المناخ في الأسرة مهيأ للعنف والمناخ في الشارع لا يدفع إلى الإحساس بالأمن النفسي . هناك خوف من المستقبل.

هناك أزمة جذورها داخلية تتعلق بالحياة المدرسية، فالنجاح المدرسي لم يعد كما كان في القديم مقياسا للنجاح الاجتماعي (اليوم كثير من الفاشلين في الدّراسة نجحوا في الحياة). لماذا تنتهي علاقتنا بالمعرفة بمجرد انتهاء الامتحانات؟ بعدها نميل إلى العبث والتنفس والسهرات الماجنة «Défoulement» في كثير من الأحيان. عمل المدرس يشبه إلى حدّ كبير عمل رجل الأمن يفصل بين المتخاصمين في القسم أو عمل رجل الإطفاء يحل مشاكل التلميذ العائلية بين والديه التي تصل إلى حدود الانفجار «يطفئ حريقا في العائلة»

هل اطلع الأولياء على ما يتعلمه أبناؤهم في المدرسة وهل تابعوا نتائجهم وشاركوهم في إيجاد الحلول اللّازمة لمظاهر السّلوك الجانح في كنف الاحترام والحوار وليساعدوهم على إعداد جيل واع متمسك بقيمة وتقاليده بعيدا عن التهميش

V ـ كيف يمكن تفعيل هذه الشراكة بين العائلة والمدرسة؟

على الأولياء التعامل مع التعليم كحاجة مستقبلية لا كوصفة جاهزة حسب ما يقتضيه الامتحان. لا يمكن أن يكون

«هناك أزمة جذورها داخلية تتعلق بالحياة المدرسية، فالنجاح المدرسي لم يعد كما كان في القديم مقياسا للنجاح الاجتماعي (اليوم كثير من الفاشلين في الدّراسة نجحوا في الحياة). لماذا تنتهي علاقتنا بالمعرفة بمجرد انتهاء الامتحانات؟ بعدها نميل إلى العبث والتنفس والسهرات الماجنة «Défoulement» في كثير من الأحيان».

كيف نساهم في جعل التعليم أكثر جدوى وفاعلية

التعليم ذا جدوى عندما يكون بعيدا عن الواقع ينحصر في الدرس والمحتوى وفي الحفظ لرد البضاعة. لماذا نتعامل مع التلاميذ ككائنات للحفظ والتخزين ولا نتعامل معهم ككائنات تفكر وتسأل لتجد أجوبة.

إن تحديد الهدف من التعليم يجنّبنا الوقوع في التخبط وهدر الوقت. إن التعليم والتربية مفهوم استشرافي للمستقبل ونتائجه ليست مرتبطة آنيا بالدرس والامتحان إنما نتائجه تنعكس على سلوك المتعلم وشخصيته فنحن نلهث وراء النتائج دون البحث عن المعنى وعن الجدوى والفاعلية. عملية التدريس شاقة لأنها تمسّ جوهر العلاقة بين كل الأطراف المتدخلة في الحياة المدرسية. هل قرأ احد النظام الداخلي للمؤسسة واحترمه؟ لو قرأناه لما رأينا ظواهر الصياح في الممرات وقاعات الدروس والاحتجاجات وإلقاء فضلات الطعام في المدرج وعدم احترام حرمة القسم وحرمة المدرسة.

إن المدرّس أشبه بمقاول بناء فهذا يبني حجرا وأنا ابني بشرا فهل يقتصر دوري على تنفيذ البرامج التعليمية فقط؟

هناك مشاكل تعاني منها المؤسسة التربوية كنقص الإطار والتجهيزات والإمكانيات المادية والفضاءات الملائمة خاصة في الساعات الجوفاء. هل علّمنا التلاميذ مهارات الانصات ومعرفة ذاته وقدراته وزودناه بالقيم التي تساعده على أن يكون تلميذا حرّا مسؤولا يدرك حقوقه وواجباته. تلميذ منهجي مستقبلي تلميذ يبحث عن المعنى وعن الجدوى والفاعلية.

«مطلوب من الأولياء أن يطّلعوا على ما يتعلمه أبناؤهم في المدرسة وأن يثروهم بالثقافة والقيم والمعاني لبناء شخصيتهم المتوازنة التي تطلب الحقائق ولا تعلّمهم الطاعة العمياء أو قلّة الأدب».

VI ـ كيف نجعل التعليم ذا جدوى؟

مطلوب من الأولياء أن يطّلعوا على ما يتعلمه أبناؤهم في المدرسة وأن يثروهم بالثقافة والقيم والمعاني لبناء شخصيتهم المتوازنة التي تطلب الحقائق ولا تعلّمهم الطاعة العمياء أو قلّة الأدب. يمكن تصوّر العديد من الحلول لجودة التعليم بدءا باستطلاع آراء الأولياء بخصوص ما تمّ انجازه داخل المؤسسة من خلال النشريّات الدّاخلية وصندوق الاقتراحات (الفارغ دائما) أو بتنظيم المحاضرات التربوية بمشاركة الأولياء بهدف ضمان جودة الأداء التربوي وتفعيل نشاط الحياة المدرسية أو تمكينهم من تقديم الاستشارات الصحيّة والنفسيّة والتربويّة كل حسب موقعه في مجال تطوير البرامج وتحفيز المدرّسين (منتدى التاسعة سنة 1996 أو أيام الباكالوريا ورصد مكافأة مالية للأساتذة أو شهادات استحسان أو أوسمة)

- تنظيم معارض للكتب وإنتاجات التلاميذ والأولياء وأعضاء الأسرة التربوية بهدف دعم المهارات والحوار.
- إحداث موقع على شبكة الانترانت لكل مدرسة تسهّل عملية التواصل بين الأولياء والمدرسة.
- تنظيم أسبوع ثقافي في كل سنة على الأقل يشتمل على فعاليات وعروض ومسابقات وجوائز.
- إقامة حفلات يشارك فيها التلاميذ ولا تقتصر على حفل آخر السنة لتسهيل التعارف بين التلاميذ أو بين الأولياء والإطار والمدرس
- القيام برحلات منظمة

VII ـ ما دور المربي؟

- تجنب الحفظ والنقل والتقليد والتكرار الذي يقتل روح الابتكار (تجنب التعليم البنكي).
- التفكير في الجدوى مما يدرسه والبحث لتحسينه
- التحرر من الانغلاق والتعصب والانحياز لأحد على حساب آخر والاستماع لمختلف وجهات النظر دون إقصاء

«إن تحديد الهدف من التعليم يجنبنا الوقوع في التخبط وهدر الوقت. إن التعليم والتربية مفهوم استشرافي للمستقبل ونتائجه ليست مرتبطة آنيا بالدرس والامتحان إنما نتائجه تنعكس على سلوك المتعلم وشخصيته فنحن نلهث وراء النتائج دون البحث عن المعنى وعن الجدوى والفاعلية.».

- الإخلاص وروح المسؤولية

- حسن توظيف الوسائط الإعلامية كالحاسوب والتلفزة، فبالنسبة لأستاذ العربية مثلا ليست الغاية التي يشتغل وفقها في مادة شرح النّص ضمان جودة درس القراءة والكتابة، إنّما بناء موقف قرائي إزاء النّصوص وإثارة اهتمام التلميذ لما يقرأ أو يكتب وخلق لذّة الاستمتاع بدرس القراءة. نحن نبذل جهدا لأننا ننشد تغيير الإنسان وتعليمه مهارة الإنصات والتذوق (المعرفة مشتقة في اللاتينية من معنى التذوق). لنقضي على العنف والانحلال ونجعله يحترم الإطار والمؤسسة وواجباته، علينا أن نصون العملية التعليمية من الانحلال وهذا يتمّ بتعاون كل الأطراف فجودة التعليم تفترض هذه الشراكة للحدّ من التناقض القيمي الذي يحدث للتلميذ نتيجة اختلاف طرق وأساليب التربية بين الأسرة والمدرسة وبالتالي يتسنى توحيد ذلك بدء بتضافر جهود الأسرة مع المؤسسة التي عليها أن تتحمل مسؤولية تربية أبناءها وأن يطمئن المجتمع على طرق الأداء المدرسي لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية كالعولمة وثورة المعلومات لمجابهة العوامل العائلية والاجتماعية، فما تنتظره العائلة من الطفل ليس هو ما يريده لنفسه. والمدرس يعلم طرق التفسير والتأويل وليس إسناد عدد لينجح. فما فائدة ذلك في غياب الوازع والقيم؟

- علّمت ابني الصغير حين يخطئ في حقي أن يقدّم لي اعتذار مكتوبا ومشفوها يعترف فيه بخطئه ويطلب الصفح وطبقت ذلك مع تلميذ من السنة الثامنة أساسي، فأقلع عن المشاكسة (إني الممضي أسفله) أو أن أحرمه وقتيا من المصروف لأعلّمه تحمّل المسؤولية واحترام الآخر ولأرسّخ فيه ثقافة الحوار ومراجعة النّفس. حين بقيت المدرسة منشغلة بتلقين المعارف على مستوى البرامج بقيت الكثير من المشاكل في العالم بلا أجوبة. والمدرسة مطالبة بالإجابة عن مشكل التلوث- مشكل الصحة – مشكل الأمن والحرية ...

VIII - وضع المدرسة في المستقبل المنظور؟

حين يتصادم الواقع مع القيم تأتي التربية لتبرز لنا أهمية القيم التي تؤمن بها ونرسخها في أطفالنا. فحين نتخرج من المدرسة نخرج منها وقد تعلمنا الكثير عن التاريخ والعلوم والفلسفة ولكن هل نحن قادرون على أن نجيب عن سؤال ما التاريخ؟ ما الفلسفة؟ ما العلم؟.

- ماذا تقدم العائلة والمدرسة للطفل؟

- نشترك مع العائلة في توفير الحماية للطفل – العائلة توفّر له ما يطلبه ليكبر والمدرسة لا تبخل عليه بالمعلومة ليحلق بجناحيه فيصبح له شأن في المستقبل. لقد ساهمت من موقعي في تكوينه ثم حين يكبر يبادل عائلته بالعقوق ومدرسته بالنكران ومدرّسيه بالتجاهل!!!

- ما عساني أن أقول لهذا الطفل أكثر من قوله تعالى: « واخفض لهما جناح الذّل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» ولأستاذك أقول: «علمونا تسعدونا فإنّ في الجهل الشقاء».

- وحتى لا نشقي جميعا بتربيتنا لكم فنحن ماضون وانتم باقون لحمل المشعل ولحمل الرّسالة، رسالة التغيير، رسالة صنع الإنسان الذي يحدّده التساؤل التالي: ماذا اعرف، ماذا آمل، ماذا يمكنني أن أعمل؟ بهذه الأسئلة أكون إنسانا ولا أكون الإنسان الذي أريد إلاّ بالتربية، فيها تتحقق الجدوى وبالتربية تتحقق فاعلية التعليم.

معلم أبنـــاء البـــلاد طبيبهـــا
يداوي سقام الجهل والجهل مسقم
فلو قيل من يستنهض القوم للعلا
إذا ساء محياهم لقلت المعلـــــم

إنّ المدرسة اليوم مطالبة بالإجابة عن الثورات الثلاث التي تقع في العالم، الثورة العلميّة: هل قدمت لنا المعرفة؟ إجابة عن مكانة الإنسان في الكون والثورة التكنولوجية المعلوماتية: كيفية توظيف الوسائط الإعلامية المتعددة في العملية التعليمية والثورة الاجتماعية عن طريق فهم الإنسان لذاته وتدريبه على تمثّل معاني الحرّية والدّيمقراطية وأساليب الحوار البنّاء. وبدون هذه الرؤية المستقبلية لا يمكن أن نتحدث عن مفهوم الجدوى والفاعلية.

أستاذ ومناضل مستقلّ
tarhouniali01@gmail.com

«علينا أن نصون العملية التعليمية من الانحلال وهذا يتمّ بتعاون كل الأطراف فجودة التعليم تفترض هذه الشراكة للحدّ من التناقض القيمي الذي يحدث للتلميذ نتيجة اختلاف طرق وأساليب التربية بين الأسرة والمدرسة ».

د.جميل حمداوي

مفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي
(3)
عند المتصوفة

إذا كان الفقهاء يعتمدون على ظاهر النّص في الوصول إلى الحقيقة الرّبانيّة، وعلماء الكلام يستندون إلى الجدل الافتراضي، والفلاسفة يعتمدون على العقل والمنطق أو البرهان الاستدلالي، فإنّ المتصوّفة يعتمدون على الذّوق والحدس والوجدان والقلب في إدراك هذه الحقيقة السّرمدية. أي : إنّ لغتهم لغة باطنيّة تنفي الوساطة، وترفض الحسّية، وتتجاوز نطاق الحسّ والعقل إلى ماهو غيبي وجداني وذوقي. ومن ثمّ، فاللّغة قاصرة في ترجمة التّجربة الصّوفية اللّدنية الجوّانية. لذلك، يلتجئ المتصوّفة إلى مصطلحات رمزيّة لها سياقات خاصّة، وهذه المصطلحات كثيرة يصعب حصرها، استقيت من مجالات عدة . ومن هنا، يمكن الحديث عن اللّفظ المشترك داخل الحقل الصّوفي . ومن هذه العلوم التي نهلت منها الكتابة أو الممارسة الصّوفية، نذكر: علوم الشريعة، وعلوم العقيدة، والآداب، وعلوم اللغة، والفلسفة، وعلوم الآلة، فضلا عن القرآن والسنة وعلم الحروف والكيمياء...

ومن مشاكل الاصطلاح الصّوفي التّعدد في الألفاظ، والتّعدد في المعاني، والاختلاف بين الصّوفية في معنى مفهوم ما، وهذا راجع لاختلاف التّجربة الصّوفية من تجربة إلى أخرى **(1)**.

وعليه، فهناك مجموعة من القضايا والإشكاليات التي يجب الوقوف إليها عند المتصوفة، وهي: قضية العرفان، وثنائية الظاهر والباطن، وإشكالية التأويل؛ لأنها هي التي ستميّز الخطاب الصّوفي عن الخطاب الفلسفي، والخطاب الفقهي، والخطاب الكلامي. فهذا أبو نصر السراج الطوسي، وهو من أوائل المؤلّفين في تاريخ التّصوف في الإسلام، يعتبر المتصوّفة من علماء الباطن. وبالتّالي، فالتّصوف هو علم الباطن، بينما الفقه هو علم الظاهر. وفي هذا يقول في كتابه «اللمع»: «إن العلم ظاهر وباطن. وهو علم الشّريعة الذي يدلّ ويدعو إلى الأعمال الظّاهرة والباطنة. والأعمال الظّاهرة كأعمال الجوارح وهي العبادات والأحكام... وأما الأعمال الباطنة فكأنّما القلوب وهي المقامات والأحوال... ولكل عمل من هذه الأعمال الظّاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد... فإذا قلنا: علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي الجارحة الباطنة وهي القلب، وأما إذا قلنا: علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة الذي هو الجوارح الظاهرة وهي الأعضاء، وقد قال تعالى: «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة»(لقمان20). فالنّعمة

« هناك مجموعة من القضايا والإشكاليات التي يجب الوقوف إليها عند المتصوفة، وهي: قضية العرفان، وثنائية الظاهر والباطن، وإشكالية التأويل؛ لأنها هي التي ستميّز الخطاب الصّوفي عن الخطاب الفلسفي، والخطاب الفقهي، والخطاب الكلامي».

«إذا كان الفقهاء يعتمدون على ظاهر النّص في الوصول إلى الحقيقة الرّبانيّة، وعلماء الكلام يستندون إلى الجدل الافتراضي، والفلاسفة يعتمدون على العقل والمنطق أو البرهان الاستدلالي، فإنّ المتصوّفة يعتمدون على الذّوق والحدس والوجدان والقلب في إدراك هذه الحقيقة السّرمدية. »

مفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي (3) عند المتصوفة

«إذا كان الزّهد والتّصوف الإسلامي السّني لهما جذور داخليّة، فإن التّصوف الفلسفي كما عند الحلاّج، وأبي يزيد البسطامي، وابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض، والسهروردي، على الرّغم من طابعه السّني والشّرعي في الكثير من النّصوص و المواقف، فإنّ له جذورا خارجيّة؛ نظرا لتأثره بالفكر الهرمسي ».

الظّاهرة ما أنعم الله تعالى بها على الجوارح الظّاهرة من فعل الطّاعات، والنّعمة الباطنة ما أنعم الله تعالى بها على القلب من هذه الحالات. ولا يستغني الظاهر عن الباطن ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله عز وجل «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»(النساء83)، فالعلم المستنبط هو العلم الباطن وهو علم أهل التصوّف لأنّ لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك... فالعلم ظاهر وباطن والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول صلى الله عليه وسلّم ظاهر وباطن والإسلام ظاهر وباطن» **(2)**.

ومن هنا، فإنّ المتصوّفة يتجاوزون الحسّ والظّاهر إلى استكناه القلب، واستنطاق مقاماته وأحواله لتأسيس تجربة روحانية، وتأصيل حضرة ربانية قوامها: العشق، والمحبة، والزهادة، وتأويلها عرفانيا ولدنيا، بينما يكتفي الفقهاء وعموم الناس بظاهر النّصوص، والالتزام بسياقاتها السّطحية، وذلك مخافة من التّأويل، وإثارة الفتنة في المجتمع.

هذا، ويمكن الحديث عن نوعين من المصادر التي كانت وراء نشوء التصوف الإسلامي: أولا، المصادر الداخلية التي تتمثل في القرآن الكريم، والسنة النبوية، والظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تمر منها الأمة الإسلامية.

ثانيا، المصادر الخارجية التي تتمثل في الفكر الغنوصي، والهرمسية، والأفلاطونية المحدثة، والتشيع، والفكر الباطني، ناهيك عن التيارات الهندية والفارسية والمسيحية واليهودية.

وإذا كان الزّهد والتّصوف الإسلامي السّني لهما جذور داخليّة بدون شكّ ، فإن التّصوف الفلسفي كما عند الحلاّج، وأبي يزيد البسطامي، وابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض، والسهروردي، على الرّغم من طابعه السّني والشّرعي في الكثير من النّصوص و المواقف، فإنّ له جذورا خارجيّة؛ نظرا لتأثره بالفكر الهرمسي، كما يقول الدكتور عابد الجابري في كتابه: «بنية العقل العربي»: «وإنما ذكرنا الإسماعيليّة هنا لأنّه عنهم كان ابن العربي يأخذ مواد عرفانيته، ومن نفس النبع الذي غرفوا منه كان يستسقي الهرمسية.» **(3)**.

ويذهب ابن خلدون في كتابه «المقدمة» إلى أن المتصوفة المتأخرين قد تأثروا بالشّيعة الغلاة والفكر الباطني المنحرف. ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: « إنّ هؤلاء المتأخّرين من المتصوّفة المتكلّمين في الكشف، وفيما وراء الحسّ، توغّلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، وملأوا الصحف منه ، مثل: الهروي في كتابه «المقامات» وله غيره، وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم» **(4)**.

وتحيل نظرية الحلول ومحبة الله ولبس الصوف على العقيدة المسيحية ، بينما تحيل فكرة الفناء على النرڤانا البوذية، وتشير أفكار ذي النون المصري إلى تصورات أفلوطين، وتختلط أفكار ابن عربي بأفكار الشيعة الباطنية والهرمسية الشرقية.

وقد دفعت الشطحات التي كان ينطق بها المتصوفة كثيرا

« يتجاوز المتصوّفة الحسّ والظّاهر إلى استكناه القلب، واستنطاق مقاماته وأحواله لتأسيس تجربة روحانية، وتأصيل حضرة ربانية قوامها: العشق، والمحبة، والزهادة، وتأويلها عرفانيا ولدنيا، بينما يكتفي الفقهاء وعموم الناس بظاهر النّصوص، والالتزام بسياقاتها السّطحية، وذلك مخافة من التّأويل، وإثارة الفتنة في المجتمع».

مفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي
(3) عند المتصوفة

من المستشرقين ليربطوا التصوف الإسلامي بمؤثرات خارجية هندوسية وبوذية وزرادشتية، مثل: شطحات أبي يزيد البسطامي الذي قال: « رفعني- الله- مرّة فأقامني بين يديه، وقال لي يا أبا يزيد: إن خلقي يحبون أن يروك. فقلت: زيني بوحدانيتك، والبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك». ومن ذلك أيضا قوله: « أول ما صرت إلى وحدانيته فصرت إلى وحدانيته فصرت طيرا جسمه من الأحدية وجناحاه من الديمومة، فلم أزل أطير في هواء الكيفيّة عشر سنين حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرّة. فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزليّة فرأيت فيها شجرة أحدية، ثم وصفت أرضها وأصلها وفرعها وأعضاءها وثمارها...فنظرت فعلمت أن هذا كله خدعة» **(5)**.

فهذه الشطحات كثيرة في متون العرفانيين، أمثال: جلال الدين الرومي، والسهروردي، وابن عربي، وأبي يزيد البسطامي، والحلاج، وابن الفارض، وابن سبعين...

وهكذا، فقد ارتبطت الحقيقة عند المتصوفة في التاريخ الإسلامي بالقلب العرفاني تحلية وتخلية ووصالا، واقترنت بالرّوح الوجدانيّة حضرة وسلوكا ومقاما، واختلطت بالهذيان اللاشعوري تأويلا وإفصاحا وتعبيرا، وارتكزت على السّحر الأسطوري فهما وتفسيرا، واستندت إلى الكرامات الخرافية الغيبيّة سردا وتخييلا وتخطيبا، واعتمدت على التصوّرات العجائبيّة الخارقة. كما ارتبطت الحقيقة الصّوفية عند الفرق الطرقية بالتدجين، والاستلاب، واستغلال الناس، وخدمة السلطة الحاكمة الجائرة، وذلك على حساب الحقيقة الصادقة واليقينية.

هذا، وقد نشب خلاف كبير حول قيمة التصوف في المجتمع العربي الإسلامي، فهناك من يدافع عنه، ويعتبره فعلا إيجابيا. وهناك من ينظر إليه نظرة سلبية. ومن هؤلاء الدكتور محمد عابد الجابري الذي اعتبر الفكر الصّوفي العرفاني فكرا خرافيا أسطوريا، وسلوكا تواكليا، فالحقيقة عند الصوفية « ليست الحقيقة الدينية ولا الحقيقة الفلسفية ولا الحقيقة العلمية، بل الحقيقة عندهم هي الرؤية السحرية للعالم التي تكرسها الأسطورة» **(6)**.

ولكن هناك من يشيد بالفكر الصّوفي، ويعتبره مسلكا للنّجاة والخروج من أزمات الحياة المعاصرة، لأن مشكلاتنا مشكلات أخلاقية، وأزمات روحية. كما أن الكثير من الطرق الصّوفية قامت بدور هام في ميدان الجّهاد، وطرد المستعمر، وحماية ثغور الوطن، وساهمت في خدمة المجتمع، وذلك عن طريق الكرم والإنفاق والإحسان. زد على ذلك، أنّ التّصوف أصبح اليوم علاجا سيكولوجيا؛ لأنّه يحرّر الإنسان من شرنقة أمراضه العضوية والنفسية، ويخرجه من عزلته الاجتماعية، ويداويه من القلق والكآبة والوحدة والاغتراب الذاتي والمكاني.

وما أشد حاجتنا اليوم إلى تصوف معاصر يساير الحداثة، ويواكب التقدم العلمي والتقني والفني! تصوّف ينخرط في المجتمع انخراطا حقيقيّا، وذلك عن طريق تقديم مقاربات أخلاقيّة ونفسيّة وروحيّة، تعالج كل المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي المعاصر، ولاسيما أن أزمتنا المعاصرة هي أزمة ضمير وأخلاق، وتردّي القيم الأصيلة، وانحطاط

« اعتبر الدكتور محمد عابد الجابري أنّ الفكر الصّوفي العرفاني فكرا خرافيا أسطوريا، وسلوكا تواكليا، فالحقيقة عند الصوفية « ليست الحقيقة الدينية ولا الحقيقة الفلسفية ولا الحقيقة العلمية، بل الحقيقة عندهم هي الرؤية السحرية للعالم التي تكرسها الأسطورة»».

« ما أشد حاجتنا اليوم إلى تصوف معاصر يساير الحداثة، ويواكب التقدم العلمي والتقني والفني! تصوّف ينخرط في المجتمع انخراطا حقيقيّا، وذلك عن طريق تقديم مقاربات أخلاقيّة ونفسيّة وروحيّة، تعالج كل المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي المعاصر، ولاسيما أن أزمتنا المعاصرة هي أزمة ضمير وأخلاق، وانحطاط الإنسان كينونة ووجودا وقيمة.».

مفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي (3) عند المتصوفة

«يرى البعض أنّ التّصوف أصبح علاجا سيكولوجيا؛ لأنّه يحرّر الإنسان من شرنقة أمراضه العضوية والنفسية، ويخرجه من عزلته الاجتماعية، ويداويه من القلق والكآبة والوحدة والاغتراب الذاتي والمكاني.»

الإنسان كينونة ووجودا وقيمة.

وهكذا، فقد ناقش الفكر الإسلامي مجموعة من الحقائق الكبرى ، لكن تبقى الحقيقة الربانية (التوحيد) أهم هذه الحقائق وأسماها، فقد وجدناها مطروحة عند علماء الكلام والفلاسفة والمتصوفة. بيد أن ثمة حقائق أخرى قد تم مناقضتها في حقل الفكر الإسلامي كمسألة العقل والنقل، ومسألة الظاهر والباطن، ومسألة التأويل بين الحرفي والمجازي، ومسألة التوفيق بين الشرع والحكمة، ناهيك عن مناقشة الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية والميتافيزيقية التي طرحتها الفلسفة اليونانية من جهة، والواقع العربي الإسلامي من جهة أخرى.

ونخلص من كل هذا أن الفلاسفة والعلماء المسلمين قد انشغلوا بحقيقتين مترابطتين أو متلازمتين: الحقيقة الميتافيزيقية التوقيفية التي نوقشت في ضوء الدّين والمنطق الافتراضي الصوري، والحقيقة العلمية التوفيقية التي نوقشت في ضوء مناهج الاستقراء والاستنباط والتجريب. وهناك حقيقة ثالثة وسيطيّة اهتم بها الفقهاء وعلماء اللّغة والأدب، ونسمّيها الحقيقة البيانيّة التي نوقشت في ضوء الرّواية والتقعيد والاستنباط والاجتهاد..

الهوامش

(1) انظر محمد المصطفى عزام: المصطلح الصوفي بين التجربة والتأويل، مطبعة نداكوم للصحافة والطباعة، الطبعة الأولى،2000م، ص:210.

(2) أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد القادر، مطبعة المثنى ببغداد ودار الكتب الحديثة بالقاهرة، 1960، ص:43.

(3) الدكتور عابد الجابري: بنية العقل العربي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،الطبعة 1، 1986م، ص:311.

(4) ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص:473.

(5) عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية،ص:28.

(6) عابد الجابري: نفسه، ص:311.

ـ أستاذ التعليم العالي (المغرب).
hamdaouidocteur@gmail.com

نجم الدين غربال

لا تنمية حقيقية بدون إستراتيجية وطنية

للإستراتيجية دور المُوجّه لكل منوال تنموي يُحدّد تصورا للنظام الاقتصادي ولدور الدّولة في الحياة العامّة وفي الاقتصاد وكذلك طبيعة السياسات الاجتماعيّة والعلاقات سواء الدّاخلية منها (بالأفراد أو بالفئات الاجتماعية أو بالجهات وفيما بينها) أو الخارجيّة (مع دول الجوار والكتل والظواهر كالعولمة وآلياتها) ويرسم الآفاق الاستثماريّة والتّجاريّة والحياتيّة عموما.

و يُفرز كل منوال تبعا لذلك مشهدا مجتمعيّا كما هو الحال في تونس قبل الثّورة حين أفرز مشهدا مجتمعيّا متعدّد الأبعاد سمته العامة اللاّتوازن والتّفاوت المتصاعد سواء على المستوى الاجتماعي حيث برز أساسا على مستوى فرص العمل (تفشت البطالة والفقر وتعدّدت ظواهر التهميش والإقصاء) أوعلى مستوى التعليم والصّحة أو على المستوى الجهوي (بين الشريط السّاحلي والدّاخل من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة ثانية) وكذلك على مستوى توزيع الثّروة والانتفاع بها وتوزيع الدخول.

وكانت النتيجة الحتميّة لحالة اللاّتوازن تلك وذاك التفاوت المتصاعد حالة من الإحتقان والغضب لدى فئات من الشعب تُرجم إلى انتفاضة ضدّ الظلم شكّلت حدثا تاريخيّا كانت له تداعيات على المنطقة ومثّل تعبيرة عن رفض ذاك المنوال وتلك الإستراتيجيّة، كما كان دافعا إلى التفكير في منوال بديل يؤسّس على العدل ويهدف إلى تحقيق كرامة الأفراد والتنمية الجهوية والعدالة الاجتماعيّة ويُترجم توافقا اجتماعيا وعقدا ترابيّا جديدا.

وكان لهذا التوجه متطلبات أوّلها مشروع سياسي بديل يفرض التّوافق والتّعاون وثانيها منظومة علاقات جديدة تقوم على الاعتراف المتبادل والقبول المشترك وتتبع منهج الشراكة وتكون ذات طابع إنساني وصبغة اجتماعية، تحرّك الهمم وتدفع الطّاقات إلى الفعل والابتكار لإبداع مشهدٍ مجتمعيٍّ جديدٍ تسود فيه علاقات بنّاءة ومعاملات سليمة بغاية حفظ كرامة الأفراد وصون وحدة المجتمع وتقوية مناعة الوطن. إلاّ أن كلّ ذلك بقي رهين الرؤية المستقبليّة التي بقدر ما تكون واضحة بقدر ما تقلّ الهفوات وتزداد قدرة أصحاب المشروع على تجاوز العراقيل ليتمكّنوا من تحقيق الأهداف التي ترسمها مصلحة المجتمع في أسرع وقت ممكن، وهذه الرؤية هي التي تقوم عليها الإستراتيجية التي بدورها لا يمكن إلا أن تكون وطنيّة ضمن خطة تترجم تخطيطا استراتيجيا. فما دوافع الاهتمام بالتخطيط الاستراتيجي وما هي متطلباته؟

1 ـ دوافع الاهتمام

1ـ1 واقعية:

* معانات شعبنا الدائمة من عدم التوازن الجهوي ومن التفاوت المتصاعد اجتماعيا وكذلك في الانتفاع بالثروة أو في مستوى توزيعها وتوزيع الدخول.

* فشل الاستراتيجيات التنموية المطبقة لعقود من الزمن للاعتبارات التالية:

- فرض إستراتيجيات تنموية متعدّدة أوّلها في ستّينات القرن الماضي بقوّة الدّولة وظهورها على أنّها مكمّلة للسّياسات الكلّية الاقتصاديّة ولم تكن تعبر على إرادة مختلف الفاعلين الوطنيين وثانيها تلك التي استوردت من الخارج في السبعينيات وثالثها تلك التي كانت وفق أملاءات صندوق النقد الدولي والبنك العالمي في الثمانينات والتي أثبتت فشلها ولا زلنا نعاني من آثارها.

- الاعتماد على تخطيط غيرنا والجهل بأهمية التخطيط الذاتي وغياب مراكز البحوث المساعدة عليه.

- الاعتماد على عمليات زرع فاعلين مستوردين وليس فاعلين من أبناء الجهة المعنيّين.

* وفاء لتضحيات التونسيين من أجل تحقيق تنمية جهويّة تعيد للإنسان كرامته.

* الحاجة إلى إستراتيجية إرادية ذاتية وفاعلة وتخطيط حديث ومرن وبأيدي وطنية.

«كانت الثورة دافعا إلى التفكير في منوال بديل يؤسّس على العدل ويهدف إلى تحقيق كرامة الأفراد والتنمية الجهوية والعدالة الاجتماعيّة ويُترجم توافقا اجتماعيا وعقدا ترابيّا جديدا. وكان لهذا التوجه متطلبات أولها مشروع سياسي بديل يفرض التّوافق والتّعاون وثانيها منظومة علاقات جديدة تقوم على الاعتراف المتبادل والقبول المشترك وتتبع منهج الشراكة».

لا تنمية حقيقية بدون إستراتيجية وطنية

«كانت النتيجة الحتمية لحالة اللاتوازن والتفاوت المتصاعد حالة من الإحتقان والغضب لدى فئات من الشعب تُرجم إلى انتفاضة ضدّ الظلم شكّلت حدثا تاريخيّا كانت له تداعيات على المنطقة ومثّل تعبيرة عن رفض ذاك المنوال وتلك الإستراتيجيّة».

2.1 فكرية:

الواقع بطبيعته متقلب وأي جهة تريد أن تؤطره خدمة لمشروع مجتمعي جيد وجب عليها :

* القطع في أدائها مع التخبّط النّاتج عن العشوائيّة وعن بعض من الارتجاليّة لتقلّل من الأخطاء وتتّقي المخاطر.

* وضع حدّ لعدم التناسق في الأفعال على مدى الزّمن توفيرا للوقت والجّهد والمال ولتحقيق التّكامل فيما بينها في اتجاه خدمة الهدف المراد تحقيقه.

* ضرورة انسجام الأهداف مع الوسائل حتى لا تحدث قطيعة بين الخطط المرسومة ومراحل الإنجاز.

* الحدّ من الأزمات التي قد تتسبّب في عدم التّحكم في مجريات الأمور ويفقد بذلك الجهد قيمته.

كل ذلك تحقيقا للهدف بعيد الأمد الذي نتّفق على تحقيقه جميعا.

3.1 شرعية:

الأرجح عقلا استراتيجيّ بطبعه:

ففي العصور الغابرة لمّا خطط كبار القوم لإنتاج الثّروة بالاعتماد على القطاع الفلاحي دون التفكير في تلبية حاجات الغير قادرين على العمل، اخبرنا القرآن الكريم في سورة سمّيت حكمة «القلم» أن النّتيجة كانت ضياع الثّروة وعدم استفادة الجميع من نتائج التّخطيط والتنفيذ حينها «قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ* قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» (سورة القلم - الآية 28 و29).

ما التسبيح؟ التسبيح هو تنزيه الخالق في فعله عن العبثية والظلم.

وبما أن الخالق بالنّسبة للإنسان العاقل مثل أعلى «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ» فإنّ هذا الإنسان لا يمكن أن يكون عبثيّا في فعله كأن يؤسّسه على الظلم لأن ذلك ضرب من العبث أو أن يستأثر لوحده بمحصول عمله دون التفكير في من لا حول لهم ولا قوة مثلا، فيفقد بذلك ضمانة الحفاظ على الثّروة التي خطط لإنتاجها فهو إذا استراتيجي بحكم المنطق وكذلك بحكم المصلحة.

من جهة أخرى يستحضر الإنسان الآخرة بمداها الممتد حتى الموت والذي نعبر عنه بالمستقبل ومداها الثاني الذي يبتدئ بالموت والذي نعبر عنه بالمصير فهو يتعلق بالآخرة رغبة فيها حين يؤمن بالآيات القرآنية «وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى»4-- (الضحى) - « والآخرة خير وأبقى»17- –(الأعلى) - «و كذلك» وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا»21- –(الإسراء) مما يجعل الإنسان استراتيجيا بحكم عقيدته أيضا.

كما يرغب الإنسان في السير سويا على صراط مستقيم (لما فيه من يسر في السير وقلة مخاطر ووضوح في الرؤية) بدون أن يستوعبه الواقع بل هو الذي يستوعبه ليقدر على تطويره « أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم» -22- (تبارك)- مما يجعل الإنسان استراتيجيا بحكم الرغبة في وضوح الرؤية ليقدر على السير سويا على صراط مستقيم.

كل ذلك ليبني مستقبله ويطمئن على مصيره.

«فشل الاستراتيجيات التنموية المطبقة لعقود من الزمن لأنها لم تكن تعبر على إرادة مختلف الفاعلين الوطنيين أو تمّ استيرادها من الخارج أو لأنها كانت وفق أملاءات صندوق النقد الدولي والبنك العالمي بالإضافة إلى الاعتماد على تخطيط الغير والجهل بأهمية التخطيط الذاتي والاعتماد على عمليات زرع فاعلين مستوردين وليس فاعلين من أبناء الجهة المعنيّين.».

II ـ متطلبات التخطيط الاستراتيجي

يعتبر كل من العمل ضمن فريق والقدرة على كتابة خطّة إستراتيجيّة بالمنهج الحديث تترجم التخطيط الإستراتيجي وكذلك التفكير الاستراتيجي والحوار الاستراتيجي أهم متطلبات التخطيط الإستراتيجي.

فنحن نحتاج إلى التفكير الإستراتيجي وكذلك الحوار الاستراتيجي لأنهما ممهّدان للتخطيط الإستراتيجي. ففي الولايات المتحدة الأمريكية يوجد 14 مركزا للتفكير الإستراتيجي تمتلك معلومات نادرة و تتحين المعلومة عند البعض منها كل 10 ثوان وهاته المراكز تخطّط استراتيجيا بعد حوارات مطولة.

إن التفكير الإستراتيجي ليس التفكير في خطّة، لأن الإستراتيجيّة منضوية في إطار آفاق طويلة الأمد (15 – 20 سنة) وتعتمد على ربط بين صورة للمستقبل والمسارات (الأفعال الممهّدة لتشكّلها) المؤدية لتحقيق الأهداف المضبوطة من طرف الفاعلين المعنيين.

كما أن الإستراتيجية تحمل بذور الحوكمة الجيّدة التي تعني فيما تعنيه قرارا جماعيا وتترجم جهدا من التنسيق والاستشارة والتوافق لضمان سياسة تنمويّة تضع القرارات موضع تنفيذ ويتقاسمها الجميع والتي من شانها أن تقوّي القدرة التنافسيّة للجهات وتحتوي على سلسلة من الأفعال الممنهجة والمتناغمة والدّائمة .

كما توضع الإستراتيجيّة لعدد من المجالات كالتّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة الدّائمة ومجال السّياسة والمؤسسة وغيرها.

وتعتبر بلورة إستراتيجيّة تنمويّة جهويّة ومحليّة من أوكد الأولويّات اليوم وضمن جدول أعمال كل من يريد أن يسير على هدى وبينة من الأمر لا يستوعبه الواقع بل يستوعبه هو ليطوّره في اتجاه إعادة تشكيله بما يخدم المشروع التنموي المجتمعي.

كل ذلك لمواجهة مشاكل التّفاوت الجهوي من ضعف للبنية التحتيّة أو انعدامها وتفشّ للبطالة وانتشار لظاهرة الفقر وما ينتج عنها من إقصاء وتهميش يكون الإنسان ضحيتها.

إن إعادة التوازن الجهوي والمحلي كهدف يفترض سلسلة من الأفعال المندمجة نظرا لوجود مقاومة للأفعال التصحيحيّة سواء من قبل المحافظين أو من أولئك المنتفعين من استمرار الوضع على ما هو عليه.

وعلى واضعي إستراتيجيّة التنمية أن يستحضروا أنّنا في سياق منفتح تسود فيه الارتباطات والمبادلات بين مستويات مختلفة محليّا وجهويّا ووطنيّا وكذلك عالميّا وأن يأخذوا بعين الاعتبار الاهتمامات المرتبطة بتداخل المستويات الجهوية وتلك المحلية والمرتبطة كذلك بالتناغم الوطني والمعطى الاقتصادي العالمي خاصة مع انتشار ظاهرة العولمة وهيمنة الشركات المتعددة الجنسيات التي لا تبحث إلا على مصالحها الخاصة.

وأمام فشل الاستراتيجيات التنموية المطبقة لعقود من الزمن لا يزال الاختيار البديل ممكنا وذلك عبر إستراتيجية وطنية وإرادية وفاعلة.

و من المهم أن نؤكد على المعاني التالية :

* أن للمقاربة الإستراتيجية خاصيات كتعدد الأبعاد وتعدد الاتجاهات وكذلك المجالات وتهدف إلى تقدير المستقبل البعيد وتحديد الأفعال الواجب اتخاذها والمسارات الممكنة والتي نقدر على تعبيدها كل ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار ليس فقط الموارد المرصودة والمفعلة بل القدرات الممكن توفيرها وصناعتها. إنها مقاربة تعاونية ابتكاريه.

* الإنسان ضمن هذه الإستراتيجية محوري والمكان إطار لتفعيل قدراته يؤمّن للفاعلين الاقتصاديين الشروط الملائمة للنّمو في مرحلة أولى ثمّ التّنمية في مرحلة ثانية أمّا عامل الزّمان فهو محدّد أيضا والأهم هو كيفية إدارته.

* أن ينطلق واضعوا إستراتيجيّة التنمية الجهويّة والمحليّة من مسلّمة أساسيّة وهي أن « المستقبل ليس واقعا كما أنه لم يحدّد سلفا ولكن على العكس تماما إنه مفتوح على عدد من المستقبلات الممكنة» كما ذكر تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية(PNUD) .

ـ رئيس مركز الدراسات التنموية
najmghorbel@gmail.com

«إن الإستراتيجية تحمل بذور الحوكمة الجيّدة التي تعني فيما تعنيه قرارا جماعيا وتترجم جهدا من التنسيق والاستشارة والتوافق لضمان سياسة تنمويّة تضع القرارات موضع تنفيذ ويتقاسمها الجميع والتي من شانها أن تقوّي القدرة التنافسيّة للجهات وتحتوي على سلسلة من الأفعال المنهجة والمتناغمة والدّائمة».

بحري العرفاوي

عصفورة قدسيّة

عصفورة
حطّت على قلبي الجريح النازف
بدماء شعبي الرازح
تحت السياط، والحديد
ويد المستكبر
بلعاب صبيان القرى المحرومة
بدموع طفل
يرقب صدقات ابن المترف
في ليلة سوداء فوق هضبة
جبل اليتامى الأحمر

،،،،

ناحت نواح الشارد
ناحت نواح ابن الفقير الجائع
ناحت نواح العامل في معمل
الفولاذ
والاسمنت والفسفاط
قطع الساعد
ناحت نواح العاطل فوق الرصيف
يسأل سيجارة
يجري وراء سائح متبختر

،،،

غرّدي ياقبّره
غرّدي فوق القصور الشامخة
صفّري يا بومة الشوم علينا
صفّري فوق الخيام الشاردة
فالأرض دنّسها الطّغاة
لم تعد ... لولا الصلاة...
تهبط يوما بها عصفورة

،،،

عصفورة
قدسية
للشّرق ... لا
للغرب... لا
حطّت على
غصن الفؤاد الأخضر
غنت نداء الشعب في لحن
السماء
غنت نداء الرّب
في لحن القلوب النابضة
لحن الشعوب الرافضة
لحن السلاسل صلصلت
بين أقدام السجين الثائر

،،،

يا شوق شعبي الشارد
يا دمعة الطفل البريئ الصامد
يا رعشة الشيخ المسنّ
القابع
في كوخه المنهار دون مورد
يا حرقة اليتم ويا
قر الشتاء البارد
يا زفرة جيل الشّباب العاطل
يا عرق العمّال بالأيدي الرخيصة
يا عثرة الفلاّح في الأرض
العويصة
سكّة المحراث أدمتها الصخور
سواعد الفتيان كلّت
بين صلصال وبور
سقطت بين الفؤوس والمكؤوس
بين طلاب العشور

،،،

ناقلات رزق شعبي
شرقي
أو غرّبي
يكفي الهشيم الأصفر
بذروة ريح صرصر
كي يشبع
شعب بنى أهرام فرعون وبات
يذكر
زمن العبيد
زمن السّيوف والرّماح
صخرة الظلم على
صدر بلال بن رباح

،،،

غرّدي يل قبّرة
صفّري يا بومة الشوم علينا
صفّري فوق خيام اللاجئين
صفّري
فالقدس دنّسها الغزاة
ردّدي:
تبّت يدا من صفّق
من بارك للخائن بيع البلاد وافق
تبت يدا من نافق
من صافح كفّ العدوّ الأقذر
تبت يدا المستسلم
تبّت يدا المتآمر
تبت يدا من طارد من أرضنا
عصفورة

ـ شاعر تونسي
من ديوان «النزيف»
bahri.arfaoui.3@facebook.com

اسماعيل بوسروال

العودة المدرسية 2015/2014 :
التلاميذ والاولياء ضحايا وزارة التربية وضحايا نقابات التعليم

تميّزت العودة المدرسية 2014 /2015 في تونس بارتفاع درجة التّوتر في أوساط العائلات التونسيّة حيث عمدت نقابات التّعليم الى إعلان رفض العودة المدرسيّة وإبقاء المدارس والمعاهد مغلقة الى حين تنفيذ الاتّفاقيات الخاصّة بقطاع المدرّسيـــن وهو أسلوب عمل (نقابـــي) لا يتناسب مع الأوضاع الهشّة للعائلات التي تّعاني بطبيعتها من ظروف معيشية معقدة تصاحبها مرحلة زوابع « إرهابية» تنغّص الحاضر وتشكّك في المستقبل .

وفي وقت متقارب يكاد يكون متزامنا شدّدت وزارة التّربية الضّغط النّفسي على التّلاميذ والأولياء من خلال إعلانها الفجئي ومن جانب واحد عن إعادة العمل بمناظرة الدّخول الى التّعليم الإعدادي المعروفة بالسيزيام وإقرارها باجبارية هذا «الامتحان» في نهاية السّنة السّادسة ، بالإضافة إلى تقديم سنّ تعلّم الفرنسيّة والانقليزيّة ، تدريجيّا .

وبذلك تظافرت العوامل الاداريّـة والنّقابية لتجعل من المدرسة العموميّة، ذلك الصرح الشّامخ الذي نعتزّ به، كابوسا جاثما على الصّدور بدأ النّاس ينفضّون من حولها نحو اتجاهات أخرى تتمثّل في المدارس الخاصّة ما أمكن لهم ذلك.

«بقيت مدارس الجهات الداخليّة دون أن تستهلّ سنتها الدّراسيّة بشكل عادي في ولايات الوسط والوسط الغربي والجنوب الغربي والشّمال الغربي وذلك لعدم التحاق المدرّسين بمراكز عملهم».

خواء وفراغ في الدّواخل من المسؤول ؟ الوزارة أم النّقابات ؟

افتتحت السّنة الدّراسيّة في سبتمبر 2014 وبمجرّد متابعة الأصداء في الجهات نجد أنّ جهات داخليّة بقيت مدارسها دون أن تستهلّ سنتها الدّراسيّة في ولايات الوسط والوسط الغربي والجنوب الغربي والشّمال الغربي وذلك لعدم التحاق المدرّسين ، فهل كان ناتجا عن سوء تصرّف في الموارد البشريّة من وزارة التربية أم فراغ فرضته هجرة الاطار التعليمي من تضاريس الدّواخل وصعوباتها ؟ أم يعود خلل انطلاق العودة المدرسية في المناطق الدّاخلية الى حركة النّقلة النّظامية والانسانيّة وفق المطالب النّقابية فأنتجت انخراما في التّوازن بين الجهات في المجال التربوي ينضاف الى انخرام تنموي واقتصادي وصحي ؟

الضّلع « الثالث» غائب عن « المثلث التّربوي»

كما تزامنت العودة المدرسية سبتمبر 2014 مع تنظيم وزارة التربية لندوة تشاوريّة حول «إصلاح المنظومة التربوية» وهي ندوة دُعيت إليها نقابات التّعليم وبعض الجمعيّات إلى جانب الطرف الإداري المتمثل في «وزارة

«تظافرت العوامل الاداريّة والنّقابية لتجعل من المدرسة العموميّة، ذلك الصرح الشّامخ الذي نعتزّ به، كابوسا جاثما على الصّدور بدأ النّاس ينفضّون من حولها نحو اتجاهات أخرى تتمثّل في المدارس الخاصّة ما أمكن لهم ذلك».

«إن مواصلة تسيير الشّؤون التربويّة في ضوء « تغييب» من يمثّل التّلاميذ والأولياء هي عمليّة دفع التّربية نحو مزيد من التجاذبات بين نقابات تسعى لمصالح قطاعيّة لا ترقى إلى رؤية وطنيّة وبين قرارات وزاريّة إداريّة تفتقر إلى رؤية استراتيجية».

التربية» ...

كان الحضور مقتصرا على ضلعيْن من شكل هندسي ثلاثي الأضلاع ... لقد حضر الندوة « الضلع الاوّل» متمثلا في المدرسين ونقاباتهم كما حضر النّدوة «الضلع الثّاني» مجسّدا في الادارة وفروعها، في حين غاب عن المثلث التّربوي « ضلع رئيسي مركزي» وهو المتعلّم أي التّلميذ أومن يمثّله من جمعيّة أولياء على غرار الدّول المتحضّرة التي تجعل «جمعيــة الأوليــاء» طرفــا واجب الحضور، لا يمكن انعقاد جلسات الحوار التّربوي بدونه .

إن مواصلة تسيير الشّؤون التربويّة في ضوء « تغييب» من يمثّل التّلاميذ والأولياء هي عمليّة دفع التّربية نحو مزيد من التجاذبات بين نقابات تسعى لمصالح قطاعيّة لا ترقى إلى رؤية وطنيّــة وبين قرارات وزاريّــة إداريّة تفتقــر إلى رؤية استراتيجية .

ثغرة في الدّستور وجب إصلاحها في إطار قانوني

يتطلب الوضع التربوي في تونس إحداث «مجلس أعلى للتّربية» لكنّ المجلس الوطني التّأسيسي لم ير فائدة في أن يدرجه ضمن «الهيئات الدستورية». ومن خلال تجربتي الميدانيّة أرى وجوبا أن يتمّ تدارك النّص بأن يتولّى « مجلس نواب الشّعب» المزمع انتخابه إحداث مجلس أعلى للتّربية وفق نصّ قانونيّ يضبط تركيبته وصلاحياته ومهامه ويضع حدّا للتجاذب (وزارة – نقابة) ويّنهي أساليب الابتزاز التي تضرّ بالمدرسة العموميّة ويمنح للمتعلّمين والاولياء أدوارهم وحقوقهم المنسيّة .

- جمعية منتدى المعرفة بسوسة
ismail_bsr2004@yahoo.fr

د. لسعد الماجري

من أجل فهم الإرهاصات الدينية ما قبل الوحي

تروي لنا نفس المصادر التّاريخيّة أنّ التثليث بات العقيدة الرّسميّة للكنيسة بعدما ظهرت بعض التّيارات الدّينية من داخل الفكر المسيحي تدعو إلى التّوحيد كأصل ثابت في الدّين المسيحي.

1.تنوّع عقائد المسيحية

لقد تنوّعت العقائد الكنسيّة داخل الفكر المسيحي تنوّعا كبيرا يدعو الى الحيرة وهي أساسا أربع عقائد تدور حول طبيعة المسيح وعدد الأقانيم :

أ- ونذكر من هذه التيارات ما سمي «بالأبيونيّة» (Ebionismes) واعتبر المتّبعون لهذا المنحى الدّيني «بالأبيونيّين» (Ebionistes) وكان هؤلاء القائلون بالتّوحيد أي «الأبيونيون» هم أناس قالوا ببشريّة عيسى عليه السّلام فهو إنسان بارّ وأقاموا نواميس الختان وأقاموا السّبت كما كان يفعل اليهود أي لم يخرجوا عن نواميس الله حينئذ واستمسكوا بالدّين القيّم وأنّ المسيحيّة ما هي إلاّ استمرار لدين موسى واعتمدوا على إنجيل «متّى» الأقرب إلى النّاموس القديم وتجاهلوا الأناجيل الأخرى.

ب- نذكر كذلك الفرقة «الأريوسية» والتي تعتبر الإمتداد الطبيعي للفرقة السّابقة ولكن أكثر إشعاعا لما اتسمت به من تأثير في البنية الفكريّة والدّينيّة والسّياسيّة للمجتمع المسيحي وهي تنسب إلى «آريوس» (ARIUS) وهو من رجالات الدّين المسيحي ولد سنة 270م، كان مهتمّا بدراسة الفلسفة اليونانيّة وقد درس في مدارس إنطاكية بشمال سورية وقد عرفت تلك المنطقة بانتشار الفلسفة اليونانية ثم تحول فيما بعد إلى الإسكندرية حيث توجد أهم كنيسة قبطيّة قديمة والتي تأسّست منذ 42 م أي أقدم كنيسة في المنطقة، فاحتل مكانة كبيرة فيها وأصبح أسقفا. وهي نفسها الكنيسة التي ظهر فيها من قبل الأسقف «أوريجان» من سنة 185 م إلى سنة 254 م وهو ذلك الأسقف الذي احتك من قبل بالفكر الفلسفي اليوناني وتعاطف مع الفكر الأفلاطوني القديم الذي ظهر قبل الأفلاطونيّة المحدثة ويقول ذلك الفكر الأفلاطوني القديم بالإله المتعالي عن كل شيء وباستقلاله عن المادّة في حين قالت الأفلاطونيّة المحدثة بوجود الوسيط بين الله والعالم. ولقد تأثّر «أوريجان» بهذه النّظرة وقال باستقلال الله عن الأشياء وأنه المطلق الذي ليس كمثله شيء وأن عيسى ابن مريم لا يمكن من هذا المنطلق أن يكون ذا طبيعة إلهيّة. لقد تأثر «آريوس» بفكر «أوريجان» فهو دارس للفلسفة اليونانية كما «أوريجان» وهو أكثر حدة من «أوريجان» كونه تبنى فكر «أوريجان» وانتقل به إلى مساحات أوسع ونشر فكره بين رجال الكنيسة نشرا كبيرا إلى حدّ أن أفرز أزمة حقيقيّة في الكنيسة الرّسمية. انقسم الناس (323 م) آنذاك إلى مؤيّد للفكر الأريوسي والى رافض له، تطلّب قرارا رسميا من طرف الكنيسة وكان ذلك زمن حكم «قسطنطين العظيم» (Constantin Le Grand) فانتظم مجمع كهنوتي كبير (سنة 325 م) لمناقشة هذه الأزمة التي استمرت طيلة سنتين (من 323 إلى 325) في داخل الكنيسة والمجتمع. انتهى هذا المجمع إلى اعتبار عقيدة التثليث عقيدة رسميّة والفكر التّوحيدي عموما شيئا مرفوضا واعتبر أتباع «آريوس» مارقين عن الدّين الصّافي وفرقة ضالّة. لم يثن هذا الموقف «آريوس» عن مواصلة الدّعوة التوحيديّة داخل الدّين المسيحي. ولقد كثر أتباعه فاجتمع من جديد مجمع كهنوتي (سنة 381 م) في قسطنطينيّة واعتمد قانونا للإيمان ينبني على عقيدة التثليث ومحاربة العقائد الفاسدة الأخرى وطرد «آريوس» من الكنيسة. واصل «آريوس» نشر أفكاره خاصة في مجال الشرق في سورية وفلسطين والعراق ونجح في كسب الكنيسة الإسبانيّة مرحلة من الزّمن ولعلّ ذلك يفسّر نوعا ما كيف أنّ اسبانيا دخلت في الدّين الإسلامي بطريقة أسهل من غيرها على يد طارق ابن زياد (سنة 711 م أي 92 هجري). لقد ذكرت المصادر العربيّة الإسلاميّة هذه الفرقة الآريوسيّة بتعاطف ودفاع عنها وسمي أتباعه بالموحّدين إلى حدّ أن بعض العلماء المسلمين كابن كثير أسماه «عبد الله ابن آريوس» في كتابه «البداية والنهاية» كنوع من التقدير لهذا الرجل المسيحي.

ت- يمكننا أيضا ذكر فرقة ثالثة ظهرت من داخل الفكر

«يروي لنا التاريخ أنّ التثليث بات العقيدة الرّسميّة للكنيسة بعدما ظهرت بعض التّيارات الدّينية من داخل الفكر المسيحي تدعو إلى التّوحيد كأصل ثابت في الدّين المسيحي أهمّها الأبيونيّة والأريوسيّة نسبة لأريوس وهو من رجالات الدّين المسيحي ولد سنة 270م».

«اعتبر «آريوس» وأتباعه من المارقين عن الدّين الصّافي وفرقة ضالّة . لكنّ «آريوس» واصل نشر أفكاره خاصة في مجال الشرق في سورية وفلسطين والعراق ونجح في كسب الكنيسة الإسبانيّة مرحلة من الزّمن».

المسيحي وبالتحديد من داخل عقيدة التثليث. فإذا كانت عقيدة التثليث تنبني على وجود ثلاثة أقانيم وهي الأب (الإله) والإبن الإله وبينهما الوسيط الرّوح القدس ومريم الأم التي اعتبرت أمّا للإله عيسى. فإن العقيدة «النسطوريّة» نسبة إلى «نسطوريوس» الذي توفي سنة 451 م ترفض اعتبار مريم العذراء أمّا للإله وإنما بشرا كالبشر جميعا. وهكذا تسقط هذه العقيدة أقنوما من الأقانيم الثلاثة وتحافظ على أقنومين اثنين هما الأب والإبن. انتشرت أفكار «نسطوريوس» ولاقت رواجا وسرعان ما قوبلت بالرفض من طرف المجمع الكنسي الذي انعقد في سنة 431 بأفسوس (AFSUS) وقرر نفي «نسطوريوس» إلى بلاد العرب في مدينة البتراء. وواصل هذا الفكر انتشاره خاصة في شمال سورية أي إنطاكية التي كانت تمثل مركزا للفكر والفلسفة والدّين. وكنتيجة لهذا الإنتشار السريع نجحت النسطورية في اكتساح واستقلال الكنيسة الشرقيّة في تقابل واضح مع الكنيسة الغربية التي كان مركزها في قسطنطينية.

ث- ظهرت أيضا فيما بعد الفرقة «اليعقوبية» نسبة إلى «يعقوب البرادعي» وقالت قولا جديدا لتفسير طبيعة المسيح التي مثّلت مشكلا غرق فيه الفكر المسيحي سنين عدّة وأدّت إلى انقسامه. هذه الفرقة اليعقوبيّة (وهي ما يسمى اليوم بالأرثوذكسية) ترى بالأقنوم الواحد بدل الثلاث (عقيدة التثليث) أو الأقنومين (النسطوريّة) وهي تقول باتحاد الجوهرين أي اتحاد طبيعة الإله بطبيعة البشر وهكذا يكون المسيح هو طبيعة واحدة متكونة على أساس الإتحاد بين طبيعتين إحداهما بشرية والأخرى إلهية. كسابقاتها تعرضت هذه الفرقة أيضا للمحاصرة والتضييق عليها من طرف الدّين الرّسمي المسيحي المنادي بالتثليث ومنعت منعا باتّا في المجمع الكهنوتي المنعقد في كليدونيا سنة 451 م. وانتشرت هذه العقيدة في الشّام شمالا وفي العراق ولقد وصلت حدّ الحبشة في أثيوبيا أين انتشرت أيضا بفضل رجلين مسيحيين (من المذهب اليعقوبي) القائل بالأقنوم الواحد أي بوحدة الجوهرين Le Monophysisme أنقذا ملك الحبشة من الغرق في البحر الأحمر. هذه العقيدة التي تنحو شيئا فشيئا نحو التّوحيد أصبحت عقيدة لأهل الشّام والعراق ولقد قابلوا بعد ذلك الفتح الإسلامي بنوع من الإرتياح كونهم اعتبروا الدّولة البيزنطية محتلاّ وكون عقيدتهم تختلف كثيرا على المركز الدّيني.

2. الموقف الإسلامي من التيارات المسيحية

إنه من الضروري الوقوف عند موقف الإسلام كدين جديد من كل هذه التيارات المختلفة داخل الدين المسيحي وذلك انطلاقا من القرآن الذي أراد أن يلتزم بموقف واضح وهو عقيدة التوحيد النّاصعة وهذا يحسب للقرآن كونه مهيمنا على ما قبله من الكتب ومصدّقا لما جاء فيها.

أ- فإزاء عقيدة التثليث التي مثلت إلى اليوم الموقف الرسمي الكنسي كان موقف القرآن صارما وواضحا كما بيّنا في مقالات سابقة :

«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (المائدة 73)

ودافع عن الطبيعة البشرية للمسيح ولأمه مريم :

«مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ» (المائدة 75)

ب- أما إزاء العقيدة النسطورية القائلة بالأقنومين فكان

«تؤمن الفرقة اليعقوبيّة (وهي ما يسمى اليوم بالأرثوذكسية) بالأقنوم الواحد بدل الثلاث (عقيدة التثليث) أو الأقنومين (النسطوريّة) وهي تقول باتحاد الجوهرين أي اتحاد طبيعة الإله بطبيعة البشر وهكذا يكون المسيح هو طبيعة واحدة متكونة على أساس الإتحاد بين طبيعتين إحداهما بشرية والأخرى إلهية»

ردّ القرآن عليها في نفس جنس الردّ على من قال من اليهود بأن عزير ابن الله فهم كذلك مسيحيون قالوا بأن المسيح ابن الله رغم تغييبهم للطبيعة الإلهيّة لمريم الأم : «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة 30-31).

ت- أما موقفه من العقيدة اليعقوبية فقد رفضها القرآن أيضا وهي التي تقول بأقنوم واحد فيه توحد الأب والإبن في جوهر واحد قائلا : «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ» (المائدة 17). فلا يمكن للإله الواحد المتّصف بالوحدانية والمختلف عن كل ما سواه أن يكون هو ذاته متّحدا في شخص المسيح فرفض القرآن في آن واحد التوحّد والتجسّد والمانوية وغيرها من العقائد الفاسدة ونادى بالتوحيد والتنزيه فالله ذات متعالية وكل ما خطر ببالك فهو خلاف ذلك. فالله أحد صمد أي هو واحد وليس جوهرا من طبيعتين فهو بهذا المعنى صمد أي غير منقسم ولو تجريديا، لا يمكن له أن يكون أبا للمسيح أو لغير المسيح وذلك جوهر سورة الإخلاص : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»(سورة الإخلاص).

«اللّه أحد صمد أي هو واحد وليس جوهرا من طبيعتين فهو بهذا المعنى صمد أي غير منقسم ولو تجريديا، لا يمكن له أن يكون أبا للمسيح أو لغير المسيح وذلك جوهر سورة الإخلاص».

3.الجزيرة العربية والتيارات الموافقة للتوحيد

إن الجزيرة العربية باعتبار وجودها كمنطقة مفتوحة وخالية من وجود دولة رسميّة على أراضيها كانت مجالا للتّجاذب السّياسي بين البيزنطيّين والفرس أي تلكم الدولتين العظمتين اللّتان ما انفكتا تتناحران بينهما لكسب نفوذ أكبر واستعملت في هذا الهدف كل الأسلحة العسكريّة والفكريّة والدّينية أيضا. وبما أن كلّ التيّارات الدّينية المسيحيّة الرّافضة للتثليث أجهضت في المركز فإنها حاولت التنفس والانتشار في أرجاء الجزيرة العربيّة ومنطقة الشّرق بصفة عامة من تيار آريوسي خاصة وغيره من التيارات النسطورية واليعقوبية. وأصبحت بذلك الجزيرة العربيّة مكانا خصبا لبروز حركات التبشير المسيحيّة غير الرّسمية. ونحن هنا لا نفكّر ضمن نظرية المؤامرة التي انضوى تحتها الكثير من المفكرين العرب المعاصرين والتي يسقطون فيها ضحية التفسير التآمري القائل أساسا بأن الرسالة المحمديّة هي من اصطناع المسيحيّة الشّرقيّة كردّ فعل على المسيحيّة الغربيّة المركزيّة والتي انبنت على التثليث فكان الرّد بإنشاء دين جديد يرتكز على عقيدة التّوحيد وكان هذا الدّين هو الإسلام وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلّم هو شخص أتى بالقرآن بإعانة أناس آخرين وخصوصا من الأحبار والرّهبان الذين تعرّف عليهم كالرّاهب «بحيرا» في طرق التجارة أو الراهب «ورقة ابن نوفل» ابن عم خديجة زوج الرسول الكريم عليه كل الصلوات وأزكى التسليم. ونحن إذ نرفض هذه النظرة التآمرية التي تختفي تحت غطاء العلم لتمرّر لنا إحساسا بالذيلية أو التبعيّة للغرب حتى في ديننا الذي به عصمة أمرنا وهي لا ترى العرب أمّة تستحق أن يكون لها دين بلسان عربيّ مبين أو أكثر من ذلك أن يكون هذا الدين فعلا خطابا مرتق عمّا سبقه مصدّقا له ولكن في نفس الوقت مهيمنا عليه. وهي ترى أن الإسلام لا يعدو أن يكون غير نتاج للمسيحية في شقّها الشرقي وكأننا أمّة تستهلك كل شيء حتى الدين. وكأن الدّين هو عبارة عن سلعة تستورد فتستهلك في حين أن هذا التصوّر لا يحترم حتى أبسط مبادئ العلم والتي تقول بخصوصيّة كل واقع

«كان موقف الإسلام كدين جديد يعتمد عقيدة التوحيد النّاصعة واضحا من كل التيارات المختلفة داخل الدّين المسيحي .فقد رفض عقيدة التثليث التي مثلت إلى اليوم الموقف الرسمي الكنسي ورفض العقيدة النسطورية القائلة بالأقنومين ورفض أيضا العقيدة اليعقوبية التي تقول بأقنوم واحد فيه توحّد الأب والإبن في جوهر واحد»

«البحث الأنطولوجي هو وحده القادر على تبيان مدى تعالي القرآن عن غيره من أشكال الخطاب وأنه ليس بكلام بشر وإنما خطاب للبشر.»

اجتماعي وثقافي وأنّ الدّين من هذا المنطلق هو استجابة حقيقيّة ومطابقة لواقع ثقافي واجتماعي وحضاري. ولقد كان الإسلام بالفعل استجابة حقيقيّة لواقع استوجب ظهور دين جديد. ونحن إذ نتطرّق لوصف الفترة التاريخيّة التي سبقت ظهور الدّين الجديد وأنها اتّسمت بانتشار التيارات الفكريّة والدينية المسيحيّة المنادية بنوع من الفكر التّوحيدي في أشكاله الصّافية أو المشبوهة فذلك لإثبات أن الوحي لا يوجد خارج التّاريخ وإنّما داخله. وهو استجابة لواقع وليس على الله بعزيز أن يخاطب الناس بلسانهم لغة أو معنى فهو الناظر لعباده الحاضر المستمرّ القريب : «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» (البقرة 186) وهذا لن يتأتّى لنا أن نثبته إلاّ في إطار مشروع للفهم الأنطولوجي للقرآن بعد أن قدّم البحث التكويني كل المؤكدات على تفرّد مسار القرآن التكويني عن غيره من الكتب السابقة وبأنه تنزه عن الزيف والبطلان. إن البحث الأنطولوجي والذي يبحث أساسا في محتوى الخطاب ومضامينه ومبادئه القيمية(Le Contenu du discours) منطلقا من شكل الخطاب وليس بحثا في مستواه التكويني الرّسمي أي كيف أصبح كتابا وإنّما التّعامل مع هذا الكتاب مباشرة ومناظرته في محتواه. فإن كان هذا المحتوى متناقضا (principes d'incohérence) أو غير متكامل (principes de non complétude) أو متهافتا (principes de légèreté) أو داعيا إلى قيم الظلم والشرّ عموما أو إلى قيم العنصرية والإنتقام (valeurs de racismes et de vengeance) أو إلى قيم الرذيلة والفساد أو إلى قيم اللّذة والشّهوة والإستبداد...الخ حقّ لمن يثبت ذلك ما يصبو إليه من حجّة على بشريته. والبحث الأنطولوجي هو وحده القادر على تبيان مدى تعالي القرآن عن غيره من أشكال الخطاب وأنه ليس بكلام بشر وإنما خطاب للبشر.

المراجع المعتمدة:

(1) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. جمعها محمد حميد الله. طبعة -5 بيروت. دار النفائس.1975.

(2) المسعودي أبو الحسن علي ابن حسين.مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. طبعة 4. القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى. 1964-1965. الجزء الرابع في المجموعة الثانية.

(3) الطبري أبو جعفر محمد ابن جرير. تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك. طبعة -2 بيروت. دار الكتب العلمية. 1977. المجموعة السادسة.

(4) القرطبي أبو عبد الله محمد ابن أحمد. تفسير القرطبي رضا محمد رشيد. الوحي المحمدي

(5) الجابري محمد عابد. بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. الطبعة 8. بيروت مركز دراسات الوحدة العربية. 2004 (نقد العقل العربي 2)

(6) الجابري محمد عابد. تكوين العقل العربي الطبعة -9 بيروت مركز دراسات الوحدة العربية. 2006 (نقد العقل العربي 1)

(7) السيوطي جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر. الاتقان في علوم القرآن.

ـ د. متخصص في الاعلامية الصناعية وهندسة المعارف

ejrilassad@yahoo.fr

«نحن إذ نتطرّق لوصف الفترة التاريخيّة التي سبقت ظهور الدين الجديد وأنها اتّسمت بانتشار التيارات الفكرية والدينية المسيحيّة المنادية بنوع من الفكر التّوحيدي في أشكاله الصّافية أو المشبوهة فذلك لإثبات أن الوحي لا يوجد خارج التاريخ وإنما داخله».

د. مصطفى اللداوي

انتصارٌ على العدو وخيبة أملٍ لدى الشعب

تغنى الفلسطينيون كثيراً في قطاع غزة خصوصاً، وفي كل الوطن المحتل وخارجه عموماً، بالانتصار السياسي الذي حققه الشعب ومقاومته على العدو الصهيوني، إذ أفشلوا مخططاته، وأبطلوا مشاريعه، وأجبروه على العودة خائباً بجنوده من حيث أتوا، فلم يحققوا ما يريدون، ولم ينفذوا ما انطلقوا من أجله.

ولا سلاحاً نزعوا، ولا صواريخاً أبطلوا، ولا قادةً قتلوا، ولا مقاومةً فككوا، ولا فصلاً بين الشعب والمقاومة عملوا، ولا صورةً قويةً لجيشهم رسموا، ولا ردعاً استعادوا، ولا نصراً حاسماً حققوا، ولا ترميماً لقدراتهم نفذوا.

بل إن صورة جيشهم العاجز بانت أكثر، وتردّد ضبّاطه وقادة أركانه بدا أكثر وضوحاً، وقرارات قيادتهم وحكومتهم المرتعشة زادت، وخلافاتهم البينيّة تعمقت، وعدم اتفاقهم على المستقبل قد ظهر للعامّة، وانعكس على الشّعب والنّخب، وعمّ بينهم الارتباك والتّخبط، والتّيه والضّياع، وتشوّهت لدى العالم صورتهم، وتبشعت سياستهم، وقاطعتهم دول، وحاصرت اقتصادهم حكومات، وعانى من القرارات اقتصادهم.

وخشي المستوطنون العودة إلى بلداتهم، ورفضوا مباشرة أعمالهم، ومزاولة حياتهم، وخافوا على أطفالهم وأولادهم من بداية العام الدّراسي، وأبدوا تمنّعهم ورفضهم، ورفعوا صوتهم وأظهروا شكاتهم، ولم يخفوا تذمّرهم، ولم يسكتوا عن غضبهم، إذ أنكروا على جيشهم عجزه، وعابوا على قيادتهم السياسية فشلهم، وحمّلوهم مسؤولية ما آلت إليه أحوالهم، والسّوء والخراب الذي حلّ في مستوطناتهم، وأنّهم السّبب في خلوّ المستوطنات، ورحيل وهروب المستوطنين إلى مدن العمق، أو سفرهم خارج البلاد.

وفي الجانب الآخر، حيث الشّعب الفلسطيني في قطاع غزّة، الذي احتضن المقاومة ورعاها، ودافع عنها وحماها، وضحّى بين يديها وسبقها بالعطاء، وقدّم فما تأخر، وبذل فما بخل، وأعطى بسخاء، وضحّى بجود، وصبر بلا حدود، ورسم للشّعب ومقاومته صورةً ولا أبهى ولا أجمل.

إذ ما تذمّر منها، ولا شكى عليها، ولا أفرح العدو بشكوى، ولا أسرّ الكارهين بنقد، ولا تخلّى عن مقاومته في ظروفها الصعبة، ولا ابتعد عنها في محنتها الشديدة، بل حماها بالضلوع والحنايا، واحتضنها في القلب والصدر، وسكت على استشهاد أولاده، وفناء عائلاته، وتدمير بيوته ومساكنه، وخراب حياته وضياع مستقبل أطفاله، وما زاده اللّجوء إلا ثباتاً، وما ورثه الدّمار والقصف إلا ثباتاً وإصراراً.

وقد وثق العدوّ بينه وبين المقاومة علاقته، وعمّق بها ارتباطه، وعضد معها وشائجه، وجعل عراها وثيقة، ونياطها متينة، إذ المقاومة لديه أعز وأغلى، والوطن عنده أسمى وأرقى، وأعظم قيمةً، وأجل مكانة، وأشرف معنىً وحقيقة، فتهون أمامه التضحيات، وتتضاءل دونه النفائس والأرواح.

ولكن الشعب المعنى الجريح، المتألم المتوجّع، الباكي الحزين، احتسب من فَقَدَ عند الله شهداءً، وقدمهم بين يديه جلّ شأنه قرابين، برضى نفس، وراحة ضمير، وسأله سبحانه أن يعوضهم عن الفقد خيراً، وعن الشهادة جنةً ونعيماً، وأن يجعل تضحياتهم سبيلاً للحرية، وطريقاً للوحدة، وبوابةً لمستقبلٍ بلا آلام، وغدٍ بلا أحزان، فلا حصار ولا عقاب، ولا حرمان ولا معاناة، ولا اقتتال ولا خصومة، ولا فتنة ولا عقوبة.

ولكن الشعب الفلسطيني هاله ما أصاب قيادته بعد الحرب، وما حل بسلطته وفصائله بعد انتهاء العدوان، وانسحاب جنود العدو، فأزعجه اختلافهم، وأغضبه تراشقهم الإعلامي، وتبادلهم الاتهامات، وفضحهم لأنفسهم أمام العدو والصديق.

«احتضن الشّعب الفلسطيني في قطاع المقاومة ورعاها، ودافع عنها وحماها، وضحّى بين يديها وسبقها بالعطاء، وقدّم فما تأخر، وبذل فما بخل، وأعطى بسخاء، وضحّى بجود، وصبر بلا حدود، ورسم للشّعب ومقاومته صورةً ولا أبهى ولا أجمل».

انتصارٌ على العدو وخيبة أملٍ لدى الشعب

«ولكن الشعب الفلسطيني هاله ما أصاب قيادته بعد الحرب، وما حل بسلطته وفصائله بعد انتهاء العدوان، وانسحاب جنود العدو، فأزعجه اختلافهم، وأغضبه تراشقهم الإعلامي، وتبادلهم الاتهامات، وفضحهم لأنفسهم أمام العدو والصديق.».

إذ أضاعوا باختلافهم نتائج العدوان، وأفسدوا ثمرة الصّمود، وأصابوا الشّعب المشرّد بغصّة، وألحقوا به ندماً وحسرة، وحققوا للعدوّ ما عجز عن تحقيقه بالحرب، إذ أثلج صدره ما يرى، وأسعده ما يشاهد.

فالمسؤولون الفلسطينيون انشغلوا بأنفسهم عن الشّعب، والتفتوا إلى مكاسبهم ومصالحهم، ونسوا حاجات الشّعب المشرّد في الشّوارع بلا بيوتٍ ولا مساكن، والجائع الفقير بلا عمل ولا مال ولا مصدر للرّزق، والمحاصر الممنوع من المغادرة والسّفر، فلا فرصة أمامه لمغادرة القطاع الضيق المخنوق، والانعتاق من قيد الحصار، للعلاج أو العمل، أو مواصلة التّعليم، أو جمع الشمل واللقاء.

الشعب الفلسطيني مصدومٌ مشدوهٌ متألمٌ حزينٌ باكي متوجع، يتحسر من غير ندم، ويحاسب نفسه من غير توبيخٍ، ويراجع مواقفه دون أن يحمل نفسه المسؤولية، بل يبرؤها بصدقه، ويقدّسها بطهره، ويتعالى بها عن الدّسائس والمؤامرات والخبائث بأصله الشّريف، ومحدته الأصيل، وإرثه الكبير.

فما أصابه من ألمٍ جداً كبير، وما لحق به من خرابٍ أكبر من قدرته على الاحتمال، فهي مصيبةٌ كبيرة ينوء عن حملها أعظم الشعوب، وأقوى الأمم، وقد كان يتوقع من المعنيين بالوطن والشعب أن يقفوا إلى جانبه، وأن يساندوه في محنته، وأن يعجلوا في مساعدته، وأن يتسابقوا في تقديم العون له، والتخفيف عنه، ولكنهم قاموا بالضّد من ذلك، وبالعكس ممّا توقّعوا، فقد تركوه وحيداً مشرّداً بلا مأوى، جائعاً بلا طعام، فقيراً معدماً بلا مال، عاطلاً بلا عمل، محبطاً بلا أمل، يائساً بلا أفقٍ يحمل حلاً، ولا بارقة أمل تبشر بخير.

الشعب الفلسطيني ليس سفيهاً أو مغفلاً، فهو يدرك أن المقاومة ما كان لها أن تنتصر لولا التفافه حولها، ووقوفه معه، وتأييده لها، وعدم اعتراضه عليها، وهو يعلم أنه كان القلعة الحصينة، والسور العظيم، والصخرة الكبيرة التي تحطمت عليها معاول العدو، وفشلت أمامه مخططاته، وعجز بسبب صموده وثباته عن تحقيق أمانيه ورغباته، ويدرك الشعب أن المقاومة من دونه وحيدة، ومن غيره عارية، وبعيداً عنه فقيرة معدمة، وضعيفة خائرة، فهي بصمود الشعب ثبتت، وبصبره انتصرت، وبعدم شكواه مضت، وبدون أنينه انطلقت.

حريٌ بنا أن نفخر بأنفسنا وبشعبنا، وأن نعتز بصبرنا وثباتنا، فما قدمناه أعظم مما قدمته قيادتنا، وأصدق مما أظهرته زعامتنا، وأوفى مما تشدق به المسؤولون، ورفعوا به عقيرتهم مفاخرين بنصرٍ لم يصنعوه، ومباهين بصمودٍ لم يشاركوا فيه، فحذاري أيتها القيادة من غضبة شعبكم، ومن ثورته عليكم، فقد فَقَدَ فيكم الأمل، وخابت فيكم ظنونه، فما عاد منكم ينتظر الرجاء، ولا منكم يتوقع الفرج، فاصدقوا معه ولا تكذبوا عليه، وأوفوا بوعودكم، ونفذوا التزاماتكم، وقفوا إلى جانبه ولا تنشغلوا بمصالحكم عنه، وإلا فاحذروه وخافوه، وترقبوا عقابه، واستعدوا لسؤاله ومحاسبته.

ـ كاتب فلسطيني

moustafa.leddawi@gmail.com

«الشعب الفلسطيني ليس سفيهاً أو مغفلاً، فهو يدرك أن المقاومة ما كان لها أن تنتصر لولا التفافه حولها، ووقوفه معه، وتأييده لها، وعدم اعتراضه عليها، وهو يعلم أنه كان القلعة الحصينة، والسور العظيم، والصخرة الكبيرة التي تحطمت عليها معاول العدو، وفشلت أمامه مخططاته، وعجز بسبب صموده وثباته عن تحقيق أمانيه ورغباته ».

د.نعمه العبادي

خيارات ما قبل الإنفجار الكبير

إن أدنى تمعّن في خارطة الاحداث لمنطقتنا وما حولها يشير بما ليس فيه مجال للشّك إلى أن الأمور السّياسية والأمنية بل والمرتكزات الوجوديّة لقوى المنطقة (دولا وما دونها): دخلت نفقا من التعقيد والتشابك إلى الحدّ الذي يصعب تخليص الأجزاء من بعضها دون أن تأخذ جزءا ممّا ألتصقت به، وأنّ جميع خطوط الصّراع لا يمكنها تحقيق النّصر المنفرد ولا تحمّل كلفة المعركة منفردة، وأنّ تأخير خيار سلام الشجعان أو مائدة «الكلّ يخسر نسبيّا» تعني أن نزيف الدّماء والكلف مستمر بوتيرة مطردة، وأنّ عامل الوقت وسرعة تداركه قد يصل إلى أن يكون لحظة الفرار من الهلاك.

منذ قرن أو أكثر يعدّ العامل الخارجي العنصر الرئيس والأساس في موازنتي الأقلاق والإستقرار لمنطقتنا، وهي معادلة قد تكون متنافية للوهلة الأولى، أو غير معقولة في الحسابات المنطقية، فكيف يكون مصدر القلق هو نفسه مصدر الإستقرار، الأمر الذي يجبر التّحليل التّقليدي أن يبتعد عن الإقرار بهذه الحالة، والذي ينتج غيابا عن الحقيقة. فالصحيح عندنا أنّ الثابت هو الدّور المحوري والمصيري للعامل الخارجي بكل تنوعاته بالنّسبة للترتيبات الكليّة والإستراتيجيّة لأمن المنطقة، وأنّ لعبة «الإقلاق والتهدئة» ممكنة في إطار حساب المصالح من وجهة نظر الطّرف المستفيد (بغضّ النّظر عن مصالح الشّركاء المكرهين قهرا على الشراكة)، مما يعني عدم وجود مؤشّرات منتظمة «لجزر ومدّ» الفعل الخارجي «حربا أو سلاما».

سلسلة «لا ممكنات» ينبغي أن تؤخذ بنظر الإعتبار لغرض أن تكتمل الصّورة تتمثل في : لا يمكن حلّ القضية السّوريّة من خلال الخيار العسكري، ولا يمكن قيام كيان كردي مستقل يحمل القدرة على البقاء والإستمرار، ولا يمكن للسّعودية أن تقيم ترتيبات سياسيّة وإستراتيجية في المنطقة على الرّغم من أنف إيران، ولا يمكن لإيران أن تشكّل صورة الخارطة بالإعتماد على دائرة الأحلاف الضيقة، ولا يمكن لإسرائيل أن تمحي مصادر إزعاجها «حزب الله ومن هم على خطّه» من الوجود، ولا يمكن لأي دولة مهما كانت علاقتها مع «قوى الإرهاب» مستوسقة أو على الأقل حياديّة أن تنام قريرة العين دون أن يقلقها أرق الأمن، ولا يمكن لأمريكا أن تجمع المتناقضات بيد واحدة ولن تبقي على الهيبة دون ان تستخدم الرّهبة ولا يمكنها تجاوز الضّد الرّوسي الصّيني الإيراني في منطقتنا، ولا يمكن لمصر أن تسلك طريق أرباح بلا ضرائب فالعمل في المناجم يسوّد الوجوه ويخنق الأنفاس، ولا يمكن لحلف تركيا-قطر- الإخوان-أطراف تحت الطاولة أن يصل إلى ما خطّط له من خارطة أهداف أو يعني ذلك نهاية وإضمحلاله، ولا يمكن الحديث عن أمن محلي لأي دولة في المنطقة ولا يستطيع أي طرف النأي بنفسه عما يدور حوله أو يضمن إستقراره دون مساعدة الشركاء، ولا يمكن أخفاء صفقات الحكّام والسّلاطين على جمهورهم لوقت طويل، ولا يمكن المراهنة في الإنجازات المصيريّة والحلول الكبرى على «قائد ضرورة» مهما كانت أهمية الأفراد في منطقتنا بل ستكون المقاربات الذّكية والتّوافقات الجماعيّة هي المخلّص الوحيد للتّغيرات الجوهريّة، ولا يمكن للقومية الناصرية أو المطوّرة ولا الشّيوعية الليلينيّة أو المحسّنة ولا الرأسمالية التقليديّة أو المحدثة أن تكون المعادل الآيديولوجي للفكر التكفيري المتغطّي بلحاف السلفيّة الجهاديّة الملفّقة، ولا يمكن الإقتصار على وسائل القوى الصّلبة في مواجهة خطر الإرهاب وإجتثاث عروقه كما لن تكون القوى النّاعمة لوحدها كافية في مواجهة خطر التّوحش.

ثلاثية : «التعقيد والتشابك» و«حتمية العامل الخارجي» و«سلسلة اللاممكنات»، تفرض صورا محدّدة من الخيارات المتصوّرة والممكنة لما قبل الإنفجار الكبير، فلن يتاح لنا المضي بعيدا في الخيالات الورديّة إلى فضاءات خارج مثلث الأزمة الضّيق المساحة.

يوجد خياران متصوران لحالة ما قبل وقوع الإنفجار الأول وهو الذي يستمرأه الكثير من الأطراف رغم عدم قدرته على المعالجة الكاملة، ويتمثل في «حل المسكنات»، والذي يعني سعي الأطراف إلى إبعاد وقوع الإنفجار الكبير من خلال معالجات جزئية مقطعية، وعبر إجراءات أنفرادية

«الثابت هو الدّور المحوري والمصيري للعامل الخارجي بكل تنوعاته بالنّسبة للترتيبات الكليّة والإستراتيجيّة لأمن المنطقة، وأنّ لعبة «الإقلاق والتهدئة» ممكنة في إطار حساب المصالح من وجهة نظر الطّرف المستفيد (بغضّ النّظر عن مصالح الشّركاء المكرهين قهرا على الشراكة)، مما يعني عدم وجود مؤشّرات منتظمة «لجزر ومدّ» الفعل الخارجي «حربا أو سلاما»».

خيارات ما قبل الإنفجار الكبير

«التصور الأولي لحلّ الملف السّوري يتمثل في إتفاق واقعي وملزم بوقف التسليح إلى كل الأطراف، والقضاء على «داعش» وإقامة نظام برلماني وزاري يكون فيه بشار الأسد رئيس جمهورية فخري بصلاحيات محدودة، وتجري إنتخابات بعد القيام بمرحلة إنتقالية عمادها تمكين المهجّرين من الرّجوع إلى مناطقهم».

مراهنة على الوقت في الوصول إلى إنجازات عالية الأثر واطئة الكلفة، كما يجري في سلوك الأطراف المعنية مع الأزمات العراقية والسورية واللبنانية واليمنية وغيرها من الملفات الأخرى.

يعاني هذا الخيار من ثلاثة تحدّيات رئيسة : الأول يتمثل في عدم قدرته على إيجاد حلول كليّة ونهائيّة، والذي يعني الإستنزاف المستمر والتورّط الدّائم في حلقة الأزمة، والثاني يتمثل في عدم وجود ضمانات لبقاء أمكانية خيار «حلّ المسكنات»، فهو حلّ محكوم بوتيرة الصّراع ومؤشرات الصّراع والأزمة تؤكد تضيق الفرص فيه إلى أدنى حدّ، والتّحدي الثّالث والأخطر أنّه لا يقدم ضمانات يمكن الإستئناس بها في قدرته على تأجيل أو منع وقوع الإنفجار الكبير لمدّة مشخّصة وفي ساحات واضحة ومعينة، يضاف إلى ذلك كلّه تعرّضه لإهتزازات الإخفاق كثيرا حتى على مستوى نتائج المقاربات الجزئيّة وحجم الكلف الباهضة المستمرة له.

أما الخيار الثاني فهو «حل النتائج الكبيرة والتسويات المستقرة»، فيواجهه أيضا تحدّيات أكبر من الخيار الأول تتمثل في : صعوبة تحقيق إرادة جامعة جدّية من كل الأطراف المعنيّة به، حجم التنازلات التي يفترض أن تروض كل الأطراف أنفسها عليه، وتعقيد الخطوات التي ينبغي أخذها لغرض خلق توافق أقليمي ودولي حوله لضمان نجاحه، وسعة مساحة وتضخم حجوم المستفيدين من عدم وقوعه ورغبتهم في فشل وقدرتهم الدائمة على تعويقه.

يتحقق الخيار الثاني «حلّ النتائج الكبيرة والتسويات المستقرة» من خلال محورين ،الأول محور أقليمي يتكون من: إيران والسعودية وتركيا ومصر، وأما المحور الثاني فيتكون من: أمريكا وبريطانيا ورؤوس الإتحاد الأوروبّي وروسيا والصين، ويجري عمل كلاّ المحورين بشكل متوازي ومنسق وعبر تفاهمات شاملة.

يقارب المحور الأول الأزمة من خلال خمسة ملفات رئيسة هي: الملف العراقي والسوري واللبناني واليمني والليبي، بالإضافة إلى ملفات جزئية أخرى، ويقارب المحور الثاني الأزمة من خلال : الملف الأوكراني، تقاسم النفوذ والتأثير في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، التفاهم على موارد الطاقة الثّابتة والمستدامة، ترتيبات الأمن العالمي بما فيها خارطة السّلاح النووي بالأضافة إلى ملفات أخرى مشتركة.

يمكن تقديم تصور أولي للحلول المتعلقة بملفات المحور الأول بحيث تكون أرضية للتفاهمات النهائية، فالملف السّوري تتمثل مقاربته في إتفاق واقعي وملزم بوقف التسليح إلى كل الأطراف، والقضاء على «داعش» وهو أجراء مشترك بين الملف السوري والعراقي واليمني سوف يجري التحدث عنه بتفصيل أكثر لاحقا، وإقامة نظام برلماني وزاري يكون فيه بشار الأسد رئيس جمهورية فخري بصلاحيات محدودة، وتجري إنتخابات بعد القيام بمرحلة إنتقالية عمادها تمكين المهجّرين من الرّجوع إلى مناطقهم، على أن تتعهد السّعوديّة ومن ورائها الخليج بدعم مالي سخيّ يأتي من خلال إستثمارات ومعونات، وأن تحصل تركيا ومصر على حصة وافرة من الإستثمارات المتعلقة بإعادة إعمار سوريا، ويضمن لايران بقاء الأسد ضمن التسوية السّياسية وأيضا اشراكها في ترتيبات بناء الامن لسوريا الجديدة. وأما الملف اللبناني فصورة الحلّ تتمثل في: الضغط الجدّي على حزب الله وتيار المستقبل للوصول إلى تفاهم سريع لإختيار رئيس جمهورية قوي يلتزم بحياد

«يتحقق خيار «حلّ النتائج الكبيرة والتسويات المستقرة» من خلال محورين ،الأول محور أقليمي يتكون من: إيران والسعودية وتركيا ومصر، وأما المحور الثاني فيتكون من: أمريكا وبريطانيا ورؤوس الإتحاد الأوروبّي وروسيا والصين، ويجري عمل كلاّ المحورين بشكل متوازي ومنسق وعبر تفاهمات شاملة»

لبنان النسبي وحماية حزب الله وسلاحه، وترحيل سريع لجميع المهجرين في لبنان إلى بلدانهم بما في ذلك إيجاد تسويات مناسبة لملف الفلسطينيين في لبنان، ودعم الإقتصاد اللبناني من خلال إستثمارات داعمة يحصل فيها السعوديون والإيرانيون والأتراك على حصص متقاربة، وقيام حكومة شراكة تملك صلاحيات كبيرة ومدعومة من كل الأطراف وإيجاد مرجعية تتناسب مع متغيرات المرحلة تتجاوز إتفاق الطائف وتعقيداته.

أمّا ما يخص الملف اليمني فتتمثل صورة الحلّ المقترحة في أنهاء جذري لبقايا النظام السابق خصوصا في المفاصل القيادية والأمن، وقيام كونفدرالية بين الشمال والجنوب تقوم بعملية تطبيع تدريجي إنتقالا إلى الفدرالية ثم التوحد، وتقديم إستثمارات ومعونات إلى كل اليمن على أساس جغرافي وليس مذهبي، ودعم الجيش والقوات الأمنية في بسط نفوذها على جميع المساحة اليمنية وتمكنينهم من طرد القاعدة التقليدية وداعش الجديد، والتزام سعودي وايراني بعدم التدخل في الشأن اليمني على أساس مذهبي ولا مانع من العلاقات الإيجابية القائمة على أساس أحترام سيادة الدول.

«تتمثل صورة الحلّ المقترحة للملف اليمني في أنهاء جذري لبقايا النظام السابق خصوصا في المفاصل القيادية والأمن، وقيام كونفدرالية بين الشمال والجنوب تقوم بعملية تطبيع تدريجي إنتقالا إلى الفدرالية ثم التوحد».

يتمثل مقترح حلّ الملف الليبي في الإتفاق بين أطراف المحور الأقليمي على وقف دعم التسليح الخارجي لكل الفرقاء بشكل نهائي، وإعادة هيكلة القوات المسلّحة بإشراف من المحورين الإقليمي والدولي بحيث لا يكون في قيادتها من قيادات النّظام السابق ولا من قيادات الإخوان ولا من قيادات الميليشيات التي تورّطت بحروب داخليّة على أن تكون مستوعبة إلى الجميع في عمليّة دمج ذكيّة ويصار إليها مهمّة ضبط الحدود وحمايتها ومنع أن تسرّب للسّلاح والمقاتلين من خارج ليبيا إلى داخلها وبالعكس، وتجري مرحلة مصالحة وطنية عبر عملية إنتقاليّة مدعومة تتكلّل بإنتخابات شاملة تفرز مجلسا برلمانيّا يمثّل المكونات البرلمانيّة بشكل عادل، وتساهم أطراف الحلف الأقليمي بدعم إقتصادي لتحسين الأوضاع في ليبيا خصوصا من خلال الإستثمارات النفطية، كما يجري التنسيق لربط ليبيا بعلاقات تعاونيّة مع الدول الإيجابية من أفريقيا، ويضمن لمصر دورا محوريا إيجابيا فيها.

وأمّا الصورة المقترحة لحلّ الملف العراقي فتتمثل في تعهد جميع أطراف المحور الأقليمي بمنع قيام أي دولة كرديّة ولا التّشجيع عليها أو على أي مشروع إنفصالي ،مع العمل بجدّ على تسوية الخلافات بين الأكراد والحكومة في بغداد خصوصا فيما يتعلق بالثروات والمناطق المختلف عليها، ومنع أي تسليح لأي طرف إلا عبر مؤسسات الدّولة الرّسمية، وأن يتمّ التنسيق الميداني بين المحورين الدّولي والإقليمي مع الحكومة السّورية والعراقيّة من أجل القضاء النهائي على «داعش» وتحرير المناطق التي تمّ الإستيلاء عليها وإعادة المهجّرين والنازحين إليها، وإعادة هيكلة الجيش العراقي بطريقة تؤمّن مشاركة كل المكوّنات فيه على مستوى القيادة والأفراد وضمان تسليحه وتدريبه بالشّكل الذي يتناسب فعلا مع التحدّيات التي تشهدها المنطقة والتّأكيد على أنّ مهام تتركّز في ضبط الحدود وحماية الدّولة من أي إعتداء خارجي والتّواجد على مخارج المحافظات على أن يكون أمن المحافظات مؤمّن عبر مؤسسة شرطة فاعلة ونزيهة ومدرّبة للتّعامل مع التّحديات المدنيّة وتحظى بقبول السّكان وتتشاطر معهم عملية الأمن، وأن يتمّ حلّ جميع المجموعات المسلّحة غير النظاميّة وإنهاء المظاهر المسلّحة وتجريم أي

«يتمثل مقترح حلّ الملف الليبي في الإتفاق بين أطراف المحور الأقليمي على وقف دعم التسليح الخارجي لكل الفرقاء بشكل نهائي، وإعادة هيكلة القوات المسلّحة بإشراف من المحورين الإقليمي والدولي بحيث لا يكون في قيادتها من قيادات النّظام السابق ولا من قيادات الإخوان ولا من قيادات الميليشيات التي تورّطت بحروب داخليّة »

«لا بدّ من الوصول إلى إتفاقات واضحة بشأن القدر المناسب الذي ينبغي أن يحقّقه الملف النووي الإيراني مقابل ضمانات إيرانية مؤكدة بشأن عدم التدخل السلبي في أمن دول الخليج والمنطقة».

تصرف مسلّح غير مؤسّسات الدّولة، وأن تكون هناك عمليّة أعمار للمناطق المتضرّرة ويشارك الإستثمار المصري والسّعودي خصوصا في المناطق الغربيّة كما يمكن الإستفادة من المصريّين في ملف المياه والسّدود والإصلاح الزراعي، وأن تتعهد مصر والسّعودية بالقيام بحملة واسعة ومؤثرة لإعادة العلاقات العراقية- العربية، ويتمّ تسوية الملفّات محلّ الإثارة مثل قانون المسائلة والعدالة وقضية المشاركة في الملف الأمني وتوسيع صلاحيات المحافظات فيما يتعلق بمسائل الخدمات وضبط الأمن المحلّي وإجراء مصارحة ومصالحة عميقة تساهم بعمليّة تداوي عاجل لجميع الجروح التي خلفها الإحتراب السّياسي والطّائفي على أن يجد أعضاء المحورين الأقليمي والدّولي مصالحهم واضحة ومكفولة في جميع التسويات التي تجري في المنطقة.

إلى جانب تلك الملفات الرئيسة لا بدّ من الوصول إلى إتفاقات واضحة بشأن القدر المناسب الذي ينبغي أن يحقّقه الملف النووي الإيراني مقابل ضمانات إيرانية مؤكدة بشأن عدم التدخل السلبي في أمن دول الخليج والمنطقة، وأن تضمن تركيا كبح جماح قطر وضبط إيقاع سلوك الإخوان مقابل أسواق وإستثمارات واسعة في المنطقة العربية، وأن تشعر مصر الجديدة بعدم التهديد الدّاخلي أو الخارجي مقابل إيجاد صيغة تسلك طريقا متوسطا بين وجود الأخوان في السلطة أو التعامل معهم كمجموعات إرهابية، وأن تطمئن الملكيات والإمارات والسلطنات الخليجية أن الجميع ملتزم بعدم دعم أي تحركات داخليّة لتقويض تلك السّلطات وأن عملية التغيير والإصلاح تبقى شأنا داخليّا.

لا شك في أن هناك أوراق مناسبة تتعلق بطبيعة الملفات التي يناقشها الحلف الدولي والتي سيتم مزاوجتها مع طبيعة التسويات التي يشتغل عليها المحور الإقليمي ،فهناك ثلاثة ورشات عمل :أقليمية ودولية وأقليمية- دولية ،كلها تعمل في وقت واحد للوصول إلى التسويات النهائية.

لقد تعمد هذا العرض الإستراتيجي أن يؤخّر الملف الأكثر تعقيدا وتشابكا وهو الملف الفلسطيني الإسرائيلي، والسّبب في ذلك أن مقاربتنا ترى أمرا مختلفا فيما يتعلق بهذا الملف، فقد جرت العادة عن الحديث عن تسويات شاملة لملفات المنطقة أن يبدأ الحديث من الصراع العربي- الإسرائيلي بوصفه القضية المركزية أو أمّ القضايا أو غير ذلك من التوصيفات، وأن تلك المقاربات ترى بأنّ نتائج تسويّة هذا الملف هي التي تحدّد مسارات الملفّات الأخرى، لكننا في هذه المقاربة نرى بأن نتائج مطابخ الورشات الثلاثة وصورة التسويات النهائيّة لملفات المنطقة هي التي تفرض قهرا شكلا مناسبا من التسويات للملف الفلسطيني، والتي تعني حتما صورة من الحلّ تنقل الأوضاع إلى حالة أفضل بكثير مما كانت عليه طيلة السبعين سنة الماضية، وسيكون ذلك الخطوة الحاسمة بإتجاه تسوية هذا الملف نهائيا.

إن عدم العمل على الخيار الثاني يعني وقوع الإنفجار الكبير الذي يبدأ من إنشطارات غير منتظمة لدول مثل العراق وسورية واليمن وليبيا، وتتدحرج كرة النّار باتجاه جميع دول المنطقة مدخلة لها في فوضوى عارمة تنسف جميع منتجات التنمية لقرون وتقضي على مصادر الطاقة التي يتوقف عليها العالم بأسره وتحوّل الوضع إلى فتنة عمياء تأكل الأخضر واليابس ولن يخرج من شرّها أحد سالما.

ـ الخبير في الشؤون الأمنية والإستراتيجية
iraqikufan@yahoo.com

«نرى بأن نتائج التسويات النهائيّة لملفات المنطقة هي التي تفرض قهرا شكلا مناسبا من التسويات للملف الفلسطيني، والتي تعني حتما صورة من الحلّ تنقل الأوضاع إلى حالة أفضل بكثير مما كانت عليه طيلة السبعين سنة الماضية، وسيكون ذلك الخطوة الحاسمة بإتجاه تسوية هذا الملف نهائيا».

يا شهيد تونس شعلت

شعر فتحية الهاشمي وغناء مجموعة البحث الموسيقي بقابس

يا شهيد تونس شعلت مالقصرين ال بنقردان
يا شهيد الدم تخلّط لونو سابغ عالحيطان
قالو هذا دم الفاضل ساح و غطّى الكياص
قالو هذي نار محمد لهبت شعلت كلّ احساس
يا شهيد الدم تخلّط من بوزيدْ ال بنقردان
هاذم عرسانك يا تونس
دمهم غطى كلّ مكان
حْليلي حْليلي عَلى وْليدي
حليلي قتلوهْ القناصَه
حليلي وليدي اليوم عرسو
لا تْزغريط و لا عزاسَه
حليلي خلّوني نضَمو
حليلي حليلي راني أمّو
خلّوني في كبدي نلمّو
وْ عْلى صدري نتكّي راسَه
حليلي على ضنوة عمري
حليلي راو قتلو القناص

دمو بارد وْ دمو يغلي
كالوردة حنّى الكياص
جابوهولي مسجّي محني
في نهار أظلم لونو رصاصْ
حليلي وليدي ناري شعلت
حليلي واشْ اللي يْطفيها
حليلي وليدي خيالكْ غابْ
بعدكْ عيني تعمى خلاصْ
يا شهيدْ فيقْ و قومْ
هذي مشي لحظة نومْ
هذي لحظة ثوره ونارْ
ستنيناها توة زمانْ
رجالكْ يا تونس خلوها
تشعلْ ضوّتْ كلْ مكانْ
زغرط يا مْ الفاضلْ و زيدْ علّي في الصوتْ
غنّي يامْ محمّدْ غنّي وعلّقْ عَلصدركْ نيشانْ
هذوم عرسانكْ يا تونسْ
دفعو مهركْ غالي خلاصْ
يا شهيدْ الدم تخلّط من بنزرت ال بنقردانْ
يا شهيدْ الفرحة عمّت
مالقصرينْ ال بنقردان

لسماع الأغنية على العنوان التالي:

http://www.youtube.com/watch?v=8t9poVd5WRM

لطفي الدهواثي

الرهان و النسيان

«الإنتخاب حق وواجب»، كان هذا أحد الشّعارات التي طالما ردّدها الدستوريّون على مدى عقود طويلة بل إنّ هذا الشعار مكرّس في الدستور القديم بالنّص وقد دأب النّظام البائد على العناية بالإرادة الشّعبية وإيلائها ما تستحقّه من عناية، ولذلك كان لا يفوّت الفرصة على نفسه ولا على النّاخبين في تكريس هذه الإرادة كلّ خمس سنوات بدون انقطاع، برلمان يرث برلمانا ورئيس يرث نفسه وحزب مؤتمن على الحكم وعلى الدولة وعلى حسن تقدير الخيار الشّعبي الذي كان لا يرى في غير التّجمع الدّستوري الدّيمقراطي خيارا آخر باعتباره حزب الرّئيس «صانع التغيير» وصاحب الفصل على البلاد والعباد.

على عكس النّظام و حزبه البائدين، كان النّاس يتشاءمون من أي دعوة للانتخاب مهما كان نوعها ويعتبرون هذه الدّعوة تحقيرا لهم وحطّا من شأنهم، فهم إمّا كانوا يدعون إليها دعا ويساقون إلي تزكية المعروض عليهم من دون إرادة في القرار، وإمّا كانوا من اللّذين لا يحفلون بأي انتخابات ولا يرون ضرورة لوجودها أصلا وفي كلاّ الحالتين كان المواطنون البسطاء يخافون على أنفسهم من المعارضة أو إبداء الرّأي لما للمعارضة من عواقب وخيمة .

عشريّات طويلة مرّت على أهل هذا الوطن وهم يحترقون بلهيب المعاناة في وطن هم منه لكنه لم يكن منهم، وطن غريب عنهم، ليس لهم فيه إلاّ فرصة الحياة على أرضه لمن رضي أن يعيش خانعا، أمّا من رفض الخنوع فدونه ودون الحياة الآمنة، مقادير ليست بيده وإنّما هي بيد النّظام الحاكم وأعوانه وهكذا كان لكلّ زمن معارضوه ولكلّ حقبة ضحاياها وشهداؤها. لم يكن بيننا وبين الدّيمقراطية أي صلة من أي نوع فمن كان من أعوان النّظام مهما كانت رتبته وموقعه ومكانته كان يدرك أن أي ديمقراطيّة تهبّ على البلد سوف تطيح به وربّما أوردته المهالك ولذلك كان دأبه الإخلاص لوليّ النّعمة والتّفاني في خدمته والمشاركة في سحق أعدائه ومن كان من المعارضين ممّن لم يرضوا بصنيع النّظام والقائمين عليه فقد كان أقصى ما يستطيعونه الحلم بالتّغيير والسعي لتحقيقه في ظلّ حصار مطبق من الدّولة بكل أجهزتها وفي ظلّ سيل من النّعوت والشتائم التي تهدف لتشويه كل أعداء النظام وتحويلهم إلى غرباء داخل أوطانهم .

خسر هذا الوطن الكثير من خيرة أبنائه ممّن قضوا زهرة أعمارهم في السّجون والمنافي، آلاف من المواطنين عجّت بهم السّجون ودمّرتهم وذهبت بصحّتهم وشبابهم وقذفت بهم بعد المعاناة الطويلة في أتون التّشرد والفقر والعذاب، لا لشيء سوى كونهم رفضوا أن يكونوا شهود زور، كلّ من منظوره، وأن يتركوا الوطن نهبًا لفئة باعته للغريب واكتفت منه بالفتات وقد ظنّت أنه كثير. ويا ليت الأمر توقّف عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى ما هو أبشع من ذلك بكثير، إذ كاد الوطن كلّه يضيع وقد استفحل فيه الخراب بعد أن استأثرت فئة قليلة بالسّلطة والثروة وحوّلت أغلب سكّانه إلى مهمّشين داخل وطنهم وبالغت في ازدراء النّاس حتّى ظنّ الكثيرون أن لا سبيل إلى أيّ تغيير.

جاءت الثّورة المباركة فكانت أشبه ما تكون بالحلم، إذ استعاد النّاس شعورهم بالمواطنة وبالحقّ في الحياة الكريمة والأهم من كل ذلك حقّهم في الوطن كلّه، بدأ بثرواته وصولا إلى حقهم في تقرير مصيره وهكذا أتيحت لهم فرصة أولى فاغتنموها وكان يوم الانتخابات بمثابة العرس من جهة وكان صفعة مدويّة على وجه كلّ القائلين بقصور هذا الشّعب وحاجته لمن يدرّبه ويعده لممارسة حقوقه ولعلّ أجمل ما في ذلك اليوم في رأيي أنّه كان فرصة لممارسة الحقّ في الاختيار، حقيقة لا زورا، فقد خرج النّاس بإرادتهم ليدركوا الفرق بين ما كان يسمّى زورا مشاركة شعبيّة و بين مشاركة حرّة دون إكراه ودون احتقار أو استخفاف بهذه المشاركة.

إنّ ما يفصلنا عن سنوات الاستبداد ليس قرنا من الزّمن ولا حتّى عقدا وإنّما هي سنوات ثلاث كانت الدّكتاتورية قبلها في أوجها و كان الشّعب فيها منقسما بين المنظّم للقطيع والمطرود من الوطن وهذه السّنوات الثلاث ليست كافية لينسى فيها الوطن ومواطنوه مقدار ما كانوا فيه من مأساة على يد فئة من بني وطنهم ممن استقوى عليهم بالسّلطان أو كان جزءا منه فهل سيكون لهذه الفئة حقّا نصيب يتيح لها العودة بيد الشّعب هذه المرّة؟ وهل سيكون هذا الشّعب من الغباء بحيث ينسى في سنوات ثلاث ما كان في عقود ستّة ؟ وهل يكفي الرّهان على نضج النّاس تماما كما يراهن الآخرون على النّسيان ؟

هذه انتخابات حقيقيّة وليست كما كانت ما قبلها واللّذين زوّروا من قبل يتمنون الآن لو كان بإمكانهم التّزوير، فهل نحن حقّا أهل للمسؤوليّة وهل نحن قادرون على رفع التّحدي وكسب الرّهان؟

ـ مستشار في الخدمة الإجتماعيّة
lotfidahwathi2@gmail.com

مجلّة الإصلاح

دورية نصف شهرية توزّع مجّانا عبر البريد الإلكتروني.

مجلّة الإصلاح هي محاولة «الكترونية» للتأسيس لدوريات سياسيّة فكرية ذات منحى إصلاحي .. نريد من خلالها المشاركة في بلورة فكرة وسطيّة تتفاعل مع محيطها وتقترح عليه الحلول لمختلف مشاكله الفكرية والسياسية والاجتماعية. نريدها حاضنة لأفكار ورؤى تناضل من أجل بناء دولة فلسفتها خدمة المواطن، ومجتمع مبني على التعاون والتآزر والعيش المشترك في كنف الحريّة والمساواة. نريدها منبرا للتحليل واقتراح البديل من دون تشنّج إيديولوجي ولا تعصّب لفئة دون أخرى. نحلم أن نواصل ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم. ننطلق من الواقع الذي نعيش فيه، متمسكين بهويتنا العربية الاسلامية ومنفتحين على العصر وعلى كل فكرة أو مشروع يؤدّي إلى الإصلاح .

للإشتراك في المجلّة

الرجاء ممن يرغب في الحصول على نسخة منها إرسال عنوانه الالكتروني على العنوان الالكتروني للمجلّة أو عنوان مديرها

للمشاركة في الكتابة

نرجو من الأخوة والأصدقاء الذين يرون في أنفسهم القدرة على الكتابة (المقال - الشعر - القصّة .....) أو لرسم الكاريكاتور ويريد ون المساهمة في المجلّة "مجّانا" أن يرسلوا إنتاجهم على نفس العنوان مع صورة رقمية لشخصه .

للمجلة كامل الصلاحية في نشر أو رفض المشاركات.

لا تقبل المشاركات التي تدعو إلى العنف أو التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدين أو فيها شتم أو معلومات من دون ذكر المصدر.

يتحمّل الكاتب مسؤولية أفكاره وكتاباته.

موعدنا يتجدد مع العدد 66
يوم 9 ذوالحجة 1435 / 03 أكتوبر 2014

مديـــــر المجلّـــــة : فيصل العش / faycalelleuch@gmail.com

العنوان الإلكتروني للمجلّة: Alislah.mag@gmail.com

الموقع الإلكتروني للمجلّة: www.alislahmag.com

صفحـــة الفايـس بوك: alislah.mag